الحفاظ على الآثار التاريخية
فى
ضوء الدعوة الإسلامية

د. محمود رشاد محمد

من ١٢٢٩ إلى ١٣٠٦

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛

وبعـد:

فالمتأمل فى حقل الدعوة إلى الله تعالى يجد صراعات ونزاعات يحزن لها المؤمن؛ لأنها تأتى على الأخضر واليابس فتفتك بالأمة ، وتغرس بذور العداوة والبغضاء؛ مع النهى القطعى عن ذلك؛ يقول الله تعالى:(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)([1])

ومن أهم أسباب هذه النزاعات الفهم الخاطىء للنصوص، واعتماد فهم واحد، وتسفيه الآراء الأخرى وأهلها ؛ دون الرجوع إلى قواعد الترجيح وأدبها؛ فتحول الاختلاف فى فهم النص من رحمة وسعة بالأمة إلى ضيق وشقاء، وأضحى الاجتهاد المرجوح بدعة وضلالة، ولا حول ولا قوة إلا بالله ؟

ويرجع ذلك إلى قلة العلم وكثرة الجهل؛ والتى أخبر بها الصادق الأمين ﷺ فى قوله : (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)([2])

---

[1] – سورة الأنفال آية : ٤٦

[2] – الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم– أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري – كتاب العلم – باب رَفْعِ الْعِلْمِ وَقَبْضِهِ وَظُهُورِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ فِى آخِرِ الزَّمَانِ حديث رقم ٦٩٧١ جـ٨ صـ٥٨ دار الجيل بيروت و دار الأفاق الجديدة . بيروت بدون

ومن هذه الموضوعات التى تجد البون فيها شاسعا بين المسلمين؛ موضوع (الآثار التاريخية) بما تحويه من معابد، وتماثيل، وقصور، وأدوات، وغيرها

فطائفة من المسلمين تدعو إلى هدم الآثار أو طمسها؛ بدعوى أنها أصنام يجب أن تهدم، وطائفة أخرى تنظر إليها نظرة تعظيم مطلق، وإعجاب مفرط من غير ضابط ولا رابط ..

وهنا يقع المسلم فى حيرة ؛ إلى أىِ الفريقين يتجه ويرنو؟ إلى شطب مظاهر التاريخ من حياته، وإلغاء كل ما يمتُ إلى الماضى بصلة؛ بحجة التمسك بالدين؛ وإظهار التوحيد الخالص؟ أم إلى إظهار مظاهر الإعجاب المفرط ؛ دون استحضار الغرض الأساسى من بقائها، وزيارتها، ومشاهدتها، كما حددته الشريعة الغرَاء؟

لذا كان سبب اختيار الموضوع هو :

- وضع الحلول الشافية لما يعنُ للمرء من تساؤلات حول هذا الموضوع .
- بيان مدى اتفاق الاتجاهات الفكرية المتعلقة بالآثار أو اختلافها مع الحقيقة الشرعية (إنما الأعمال بالنيات)([1]) ومن ثمَ بيان أيها يتفق مع روح الشرع ، وتعاليم الإسلام .
- دعوة الآخرين إلى الحكم على الإسلام من خلال الإسلام ؛ وليس من أفعال بعض المسلمين ؛ فالإسلام حاكم عليهم وليس محكوما بهم.

أهمية الموضوع:

---

[1] – هذه الحقيقة مستقاة من حديث سيدنا رسول الله صى الله عليه وسلم فيما رواه عنه سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه:(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئء ما نوى فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) صحيح البخارى –كتاب بدء الوحى – باب باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم – حديث رقم (١) جـ١ صـ٣ – دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت– ط– ٣ ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م

- إبراز النظرة الوسطية المعتدلة للآثار؛ حماية لبيضة الدين، وصيانة لوسطيته، وإذا لم يقم أبناء الأزهر الشريف بهذا الواجب الشرعى فمن يقم به !!
- الحاجة الماسة لمثل هذه الموضوعات؛ لأنها تمسُ الواقع فهى ليست حبيسة الأدراج بل تتعداها إلى واقع الناس وحياتهم؛ وما حادثة هدم تمثال بوذا فى أفغانستان، وآثار بابل وأشور بالعراق منَا ببعيد!!
- إظهار سماحة الإسلام ، وبيان أنه لا يتصادم مع المخالفين ؛ بل يتكامل معهم فيما يصلح التكامل فيه ، ويقوِم بالحسنى ما لا يصلح فيه التكامل .

حدود الدراسة:

تتناول الدراسة حكم الإسلام فى الحفاظ على الآثار دون هدم أو طمس؛ ولا تخرج عن ذلك من بيان حكم بيعها، أو شرائها، أو جرِ الأقوات والأرزاق عليها؛ إلى غير ذلك

منهجى فى البحث:

يحتاج الباحث فى هذا الموضوع إلى أن يستقرىء القرآن الكريم والسنة المطهرة المصدرين الأساسيين ويستنبط منهما الحكم الشرعى ؛ وهذا ما قمت به فى استخدام

المنهج الاستقرائى الناقص الذى يعنى: (استنتاج قضية عامة من قضية جزئية ،

واستخلاص نتائج من شيء نعرفه معرفة يقينية تلزم عنه)([١]) ؛ ولأن الموضوع يتعلق بالتاريخ؛ استخدمت المنهج التاريخى عند تحليل الأقوال التاريخية ، وفحصها، ونقدها كما يتطلب المنهج التاريخى (من طرق التحليل، والتركيب التاريخية، وفحص الوثائق)([٢]) ،والبحث بهذين المنهجين يكون وصفيا؛ لذا تأتى التتمة فى استخدام المنهج المقارن الذى يعنى: (إجراء مقارنات بين الظواهر المختلفة لاكتشاف العوامل التى تصاحب حدثا معينا)([٣]) للمقارنة بين الأفكار المتعددة فى موضوع الآثار، وبيان قربها وبعدها عن ميزان الشرع .

طريقة البحث:

سلكت فى هذا البحث ما يلى:

- مراعاة الحيدة العلمية فى البحث، خاصة فى الأمور التى فيها مقارنات.
- الحرص على الأمانة العلمية، وعزو كل نص إلى قائله.
- تخريج الأحاديث من مظانها، وإذا كان الحديث فى الصحيحين ذكرت رقم الحديث وبابه وكتابه، وإذا كان فى غيرهما زدت عملاً آخر وهو الحكم عليه وبيان درجته.
- توضيح الكلمات الغامضة سواء كانت فى أيةٍ أو حديثٍ أو أثر أونصٍ ... ليكون المعنى واضحاً.

---

[١] – مناهج البحث العلمى وضوابطه فى الإسلام– ا. دحلمى صابر ص٤٣،٤٤– ايجيبت للطباعة ط٢ ٢٠٠م

[٢] – مناهج البحث عند مفكرى الإسلام واكتشاف المنهج العلمى فى العالم الإسلامى – ا.د /على سامى النشار : ص ٢٧١دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٨م

[٣] – البحث العلمى مفهومه وأدواته وأساليبه د.ذوقان عبيدات وآخرون ص٢٥٦دار الفكر ط١٤١٨هـ– ١٩٩٨م

- توضيح عنوان البحث توضيحاً ينفى الجهالة بمقصوده ودلالته.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول:

أما الفصل الأول فجاء بعنوان:(حديث القرآن الكريم عن الآثار التاريخية)

ويتكون من توطئة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دعوة القرآن الكريم إلى رؤية الآثار للاتعاظ والاعتبار

وتكون من المطالب الآتية:

المطلـــب الأول : دعوة القرآن الكريم إلى السير فى الأرض و رؤية الآثار

المطلـــب الثانى : رؤية الآثار والتأمل فيها باعث على الاتعاظ والاعتبار

المطلـــب الثالث: وصف القرآن الكريم الدقيق للآثار مدعاة للحفاظ عليها للتدبُر

المطلـــب الرابع : بعض الفوائد الدعوية من رؤية الآثار:

المبحث الثانى: دعوة القرآن الكريم إلى البحث عن الأسرار العلمية المبثوثة فى الآثار

المبحث الثالث : ذكر القرآن الكريم أسماء آثار بعينها، والدقة فى وصفها

وتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: سفينة سيدنا نوح عليه السلام

المطلب الأول: صرح فرعون

المطلب الثالث: جسد فرعون

وأما الفصل الثانى فجاء بعنوان : (حديث السنة النبوية عن الآثار التاريخية)

وتكون من مبحثين :

المبحث الأول: تعامل النبى صلى الله عليه وسلم مع الآثار التاريخية

وتكون مطلبين:

المطلب الأول : ديار قوم سيدنا صالح عليه السلام

المطلب الثانى:آطام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم

المبحث الثانى : تعامل الصحابة الكرام رضى الله عنهم مع الآثار التاريخية

وتكون من مطلبين:

المطلب الأول: حال الصحابة الكرام ﷺ مع الآثار التاريخية

المطلب الثانى : شبهـــة ... والرد عليها

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان:

(علة العبادة فى القرآن و السنة وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية)

وتكون من مبحثين:

المبحث الأول : فهم مراد الألفاظ لغويا وأثره فى الحكم الشرعى الصحيح

المبحث الثانى : علة العبادة فى القرآن و السنة وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

وتكون من مطلبين:

المطلب الأول:علة العبادة فى القرآن الكريم وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

المطلب الثانى:علة العبادة فى السنة النبوية وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

وأما الخاتمة: ففيها أهم النتائج والتوصيات.

وأما المصادر والمراجع: فسلكت فيها طريقة تقديم ما يستحق التقديم، فقدمت كتاب الله سبحانه وتعالى، ثم سنة رسول الله (ﷺ) ثم شروح وتفاسير القرآن الكريم، ثم شروح سنة رسول الله (ﷺ)، ثم رتبت بقية المراجع حسب حروف الهجاء.

ولله الفضل والمنة،

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

١- مفهـوم الآثـار

مفهوم الآثار فى اللغة:

إن معاجم اللغة العربية توضح لنا معنى كلمة الآثار توضيحا جليًا ينفى الجهالة، ويحدد المدلول، ويضع أيدينا على المفهوم الحقيقى لهذه الكلمة المشتهرة على الألسنة .

يقول ابن منظور رحمه الله : (أثر: الأَثر بقية الشيء، والجمع آثار وأُثور، وخرجت في إِثْره وفي أَثَره أَي بعده، وأُتَثَرْتُه وتَأَثَّرْته تتبعت أَثره، ويقال آثَرَ كذا وكذا بكذا وكذا أَي أَتْبَعه إِياه.

والأَثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأْثير إِبْقاءُ الأَثر في الشيء، وأَثَّرَ في الشيء ترك فيه أَثراً .

والآثارُ الأَعْلام ، والأَثِيرَةُ من الدوابّ العظيمة الأَثَر في الأَرض بخفها أَو حافرها بَيِّنَة الإِثارَة. والأُثْرَة بالضم أَن يُسْحَى باطن خف البعير بحديدة ليُقْتَصّ أَثرُهُ، والمِئْثَرَة والثُّؤْرُور على تُفعول بالضم حديدة يُؤْثَرُ بها خف البعير ليعرف أَثرهُ في الأَرض.)([1])

مما سبق يتبين أن كلمة الآثار فى اللغة العربية تدل على:

١- ما تركه السابقون من شواهد، وأعلام، ورسوم ؛ تدل على طريقة حياتهم ؛ من مأكل ، وملبس ، ومسكن، ودور عبادة وغير ذلك، وهو ما يعبر عنه (بقية

[1] -لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصرى – مادة أثر جـ ٤صـ٥ ط١ دار صادر– بيروت

الشيء)، وهذا ما أكده مجمع اللغة العربية فى تعريف (الأثر) حيث عرَفه بأنه: ما يحدثه، وما خلفه السابقون)([١])

٢- تدل كلمة الآثار على تتبع أخبار السابقين وأحوالهم؛ مما تركوه وخلَفوه ؛ للتعرف على حياتهم الدينية، والاقتصادية ، والاجتماعية وغيرها، وبيان سنن الله فى خلقه الطائعين ، والعاصين؛ وهذا يستفاد مما جاء فى لسان العرب (أَتَثَرْتُه وتَأَثَّرته تتبعت أَثره)

وعلى هذا يأتى بيان علم الآثار فى اللغة على أنه: (معرفة القديم أو علم الوثائق القديمة) ([٢])، ويعرَف المشتغل بهذا العلم على أنه (الأثرى) ([٣])

٣- يعتمد علم الآثار فى معرفته على البقايا، والعلامات التى تركها السابقون؛ مما تعدُ مادة خصبة للبحث والتنقيب ، وهذا يستفاد مما جاء فى لسان العرب فى معنى الأُثْرَة بالضم وهى:(أَن يُسْحَى باطن خف البعير بحديدة لِيُقْتَصّ أَثَرُهُ) فالعرب تضع حديدة فى قدم البعير للتعرف على مكانها ؛ وهو ما يعرف (باقتفاء الأثر) فعلم الآثار إذا هو اقتفاء لأثر السابقين للكشف عن غوامض السابقين؛ ويظهر هذا المعنى من قصِ القرآن علينا أخبار عاد، وثمود، وغيرهما.

مفهوم الآثار فى الاصطلاح:

اهتم العلماء قديما وحديثا بالآثار ، وأنشئت لذلك معاهد، وكليات ، وبرز فى ذلك علماء أخذوا على عاتقهم تعريف علم الآثار وتقنينه للنهوض به وتشجيعه

---

[١] – المعجم الوسيط . إبراهيم مصطفى وآخرون أحمد الزيات . تحقيق : مجمع اللغة العربية –باب الهمزة جـ١صـ٥ – دار الدعوة

[٢] – المعجم الوسيط – باب الهمزة جـ١صـ٥ مرجع سابق.

[٣] – المعجم الوسيط – باب الهمزة جـ١صـ٥ مرجع سابق.

(وعلم الآثار يعنى: قصة الإنسان كما تظهرها الأشياء التى تخلفت عنه، وهو بالدرجة الأولى البحث عن المعرفة وليست مجرد البحث عن الأشياء)([١])

(وعلم الآثار ARCHeaology : هو جزء لا يتجزأ عن علم الإنسان وعلم الإنسان ميدان يلتقى فيه كل من له اهتمام بالإنسان...وعلم الآثار يسعى إلى اكتشاف طبيعة ثقافة الإنسان فى العصور القديمة)([٢])

ويهدف علم الآثار إلى:(أن يفيد الإنسان من فعال الأجيال الماضية المختلفة؛ من تشابك، وتلاؤم، وتصادم؛ وما يظهر من أسباب ونتائج قد يفيد منها رجل الحرب، وصاحب السياسة، وما يفيد منها الإنسان عامة فى الإحاطة بتطوره فى المجتمع خلال عصور التاريخ المختلفة؛ فى كثير من الزمان، والمكان)([٣]).

فمن خلال ما سبق يتبين اتفاق مفهوم الآثار فى اللغة والاصطلاح فى تحديد ماهية الآثار: بأنها ما خلَفه الإنسان من بيوت ومعابد ومعالم ...وتهدف دراسة هذا العلم إلى التعرف على حياة الإنسان ، وثقافته ، وتطوره ، والاستفادة من ذلك فى حياتنا المعاصرة، كما هو معهود فى الإسلام بالاعتبار بتاريخ السابقين وآثارهم .

٢- مفهوم التاريخ

أولا فى اللغة :

ترجع كلمة التاريخ إلى الفعل أرَخ، يقال: (أرَخ: الكتاب حدد تاريخه، والحادث ونحوه فصل تاريخه وحدد وقته، و(التاريخ) جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها

---

[١] -الموجز فى علم الآثار-د/على حسن- ص ١٠ الهيئة المصية العامة للكتاب ١٩٩٣م.

[٢] -المرجع السابق صـ٩

[٣] - المرجع السابق صـ٨ بتصرف يسير.

كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية، ويقال فلان تاريخ قومه إليه ينتهى شرفهم ورياستهم، و(المؤرخ): عالم التاريخ)([١])

فالتاريخ فى اللغة يفيد الإخبار عن وقت الأحداث وتحديدها، ويسجِل ما يحدث للأمم من أحداث وأحوال تنبىء عن أخبارها

ثانيا فى الاصطلاح:

يراد بالتاريخ :(تسجيل أهم حوادث الأمم، وتحديد بداية الأخبار الخاصة بعصر من العصور، وحساب الأزمات وحصرها، وتحديد زمن وقوع الحوادث تحديدا دقيقا)([٢])

ونلاحظ أن مفهوم التاريخ فى الاصطلاح يتفق مع مفهومه فى اللغة فى الإخبار عن حوادث الأمم وأيامهم، وتسجيل الأخبار الخاصة بهم، وتوقيتها توقيتا دقيقا.

وعلى هذا:

فإن عنوان البحث: (الحفاظ على الآثار التاريخية من منظور الدعوة الإسلامية) يراد به: بيان رؤية الدعوة الإسلامية فى الحفاظ والإبقاء على ما خلَفه السابقون من معابد، وتماثيل، وأعلام، شواهد... تحدِث أخبارهم، وتحكى أحوالهم، وتشهد بما لهم أو عليهم.

---

[١] – المعجم الوسيط – باب الهمزة جـ١صـ١٣ مرجع سابق

[٢] – موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة – جـ١صـ١٠٦ بتصرف يسير ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م

الفصل الأول

حديث القرآن الكريم عن الآثار التاريخية

ويتكون من توطئة وثلاثة مباحث :

المبحث الأول

دعوة القرآن الكريم إلى رؤية الآثار للاتعاظ والاعتبار

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول : دعوة القرآن الكريم إلى السير فى الأرض و رؤية الآثار

المطلب الثانى : رؤية الآثار والتأمل فيها باعث على الاتعاظ والاعتبار

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم الدقيق للآثار مدعاة للحفاظ عليها للتدبُر

المطلب الرابع : بعض الفوائد الدعوية من رؤية الآثار:

المبحث الثانى

دعوة القرآن الكريم إلى البحث عن الأسرار العلمية المبثوثة فى الآثار

المبحث الثالث

ذكر القرآن الكريم أسماء آثار بعينها، والدقة فى وصفها

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: سفينة سيدنا نوح عليه السلام

المطلب الأول: سفينة سيدنا نوح عليه السلام

المطلب الثالث: جسد فرعون

توطئة:

عند الحديث عن موضوع الآثار يجب علينا أن نذهب أولا إلى القرآن الكريم؛ لنكوّن تصورا صحيحا، ورؤية صائبة حول هذا الموضوع؛ فالله سبحانه وتعالى جعل القرآن الكريم (أمثاله عبرا لمن تدبرها، وأوامره هدىً لمن استبصرها، وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للإفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار) ([1])

وكتاب هذا شأنه ؛ حريٌ بالباحثين في موضوع الآثار أن يتدبروا آياته، ويستنطقوها حكم المحافظة على الآثار، وزيارتها، لأنه من (الواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، ويتفهم عجائبه، ويتبين غرائبه، قال الله تعالى : (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) ([2])([3])

فالله سبحانه وتعالى (جعل إلى العلماء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله؛ ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد؛ فيمتازوا بذلك عن غيرهم؛ ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله تعالى : (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)([4]) ؛ فصار الكتاب أصلا والسنة له بيانا واستنباط العلماء له إيضاحا وتبيانا)([5])

وتأتي مباحث هذا الفصل لتقدم لنا الصورة العامة للآثار في القرآن الكريم :

المبحث الأول

---

[1] – – الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني– جـ١صـ٣ دار الكتب المصرية القاهرة ط١ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

[2] – سورة ص آية: ٢٩

[3] – تفسير القرطبي جـ١صـ٣ مرجع سابق .

[4] – سورة المجادلة آية: ١١

[5] – تفسير القرطبي جـ١صـ٣ مرجع سابق .

دعوة القرآن الكريم إلى رؤية الآثار للاتعاظ والاعتبار

المطلب الأول : دعوة القرآن الكريم إلى السير فى الأرض و رؤية الآثار:

حثَ القرآن الكريم على السير فى الأرض، والنظر فى آثار السالفين؛ للتعرف على سنن الله المطردة فى خلقه ، ولإدراك أن القوة لله وحده، وأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء، ولليقين فى أن الخلق إذا استخدموا قوتهم وعددهم وعدتهم فى مرضاة الله أعزهم الله ، وإذا استخدموها فى محاربة الله أهلكهم الله سبحانه وتعالى، قال تعالى:(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)([1])

والآثار التى خلَفها السابقون من شواهد ، ومعابد ، ومصانع ، ومساكن ،.. هى الدليل المحسوس على هذه السنن المطَردة فى الخلق ؛ والتى لا تتبدل ولا تتغير (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)([2])

وآيات القرآن الكريم تحثُ حثًا حثيثا على السير فى الأرض، والنظر فى آثار السالفين وتعتبره طريق العقلاء الذين فتحوا قلوبهم ، وجلوا الغشاوة عن أبصارهم ، ومحوا الوقر عن آذانهم، قال تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْآذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)([3])؛ فهذه الآية الكريمة وأشباهها تحث المرء على السير فى الأرض والنظر فى آثار السابقين ، واستعمال البصر والقلب والعقل للاستفادة من هذا السير والنظر؛ وهذا ما أكده الإمام القرطبى رحمه الله عند قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَسِيرُوا

---

[1] – سورة آل عمران : الآيتان (١٣٧،١٣٨)

[2] – سورة فاطر الآية:٤٣

[3] – سورة الحج آية (٤٦)

فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا)([١]) قال : ببصائرهم وقلوبهم.)([٢])؛ لذا نعى الله على كفار قريش قعودهم فى ديارهم ، وعدم سيرهم فى الأرض سير المتأملين المعتبرين ، واستنطاق آثار السالفين كعاد ، وثمود لإدراك صحة ما يدعوهم إليه النبى ﷺ؛ قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْف كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُون)([٣])

فآثار السالفين تحكى جهل كفار مكة ؛ لأنهم لم يقارنوا قوتهم بقوة السابقين، وعدتهم بعدة السابقين ، وعددهم بعدد السابقين ؛ ولكنهم غيّبوا عقولهم ، ولجّوا فى طغيانهم يعمهون؛ وغفلوا عن السير والتأمل فى آثار السالفين لإدراك جهلهم وضلالهم.

يقول ا.د محمد سيد طنطاوى رحمه الله فى هذه الآية :(أقعد مشركو مكة في ديارهم ، ولم يسيروا في الأرض سير المتأملين المتفكرين المعتبرين فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، من الأمم الماضية ، كقوم عاد وثمود ، وقوم لوط.)([٤]) ... ثم أخذ يستطرد فى بيان الآية فقال:

(وقوله سبحانه : كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً بيان لحال هؤلاء الأقوام السابقين وَأَثارُوا الْأَرْضَ أى : كان أولئك السابقون أقوى من أهل مكة في كل مجال من مجالات

---

[١] – سورة الروم جزء من الآية : ٩

[٢] – الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي(المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردونى– ج١٤ص٩ – دار الكتب المصرية القاهرة ط ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

[٣] – سورة الروم الآيتان(٩، ١٠)

[٤] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم – ا.د محمد سيد طنطاوى – جـ ١١ص٧٠– نهضة مصر

القوة ، وكانوا أقدر منهم على حراثة الأرض ، وتهيئتها للزراعة ، واستخراج خيراتها من باطنها.

وَ عَمَرُوها أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها أى : حرثوا الأرض وشقوا عن باطنها ، وعمروها عمارة أكثر من عمارة أهل مكة لها ، لأن أولئك الأقوام السابقين كانوا أقوى من كفار مكة ، وكانوا أكثر دراية بعمارة الأرض.

وهؤلاء الأقوام السابقون : جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ أى : بالمعجزات الواضحات ، وبالحجج الساطعات ، ولكن هؤلاء الأقوام كذبوا رسلهم ، فأهلكهم الله – تعالى – فَما كانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ أى : فما كان الله – تعالى – من شأنه أن يعذبهم بدون ذنب، ولكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث ارتكبوا من الكفر والمعاصي ما كان سببا في هلاكهم.)([1])

فيستفاد من ذلك دعويا أن السير فى الأرض، واستنطاق آثار السالفين حقيقة قرآنية ثابتة؛ وأن تحريم رؤيتها، والدعوة إلى هدمها يفقد هذه الحقيقة قيمتها لاسيما وأن النظر فى آثار السالفين أقوى من أثر السماع (فلا يمتنع أن يقال إن لمشاهدة آثار المتقدمين أثرا أقوى من أثر السماع ، فهذه الآية (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ . هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ)([2]) وأشباهها من الآيات ، تدعو الناس إلى الاعتبار بأحوال من سبقوهم. وإلى الاتعاظ بأيام الله ، وبالتاريخ وما فيه من أحداث ، وبالآثار التي تركها السابقون ، فإنها أصدق من رواية الرواة ومن أخبار المخبرين.)([3])

---

[1] – المرجع السابق جـ١١صـ٧٠

[2] – سورة آل عمران : الآيتان (١٣٧)

[3] – التفسير الوسيط للقرآن الكريم – جـ ٢ص٢٦٩– مرجع سابق.

ويتأكد هذا المعنى بما ما جاء في قوله تعالى:(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ)([1]) من وجوه القراءات؛ ففي هذه الآية المباركة وجه من وجوه القراءات يدل على وجوب البحث والتنقيب في أحوال السابقين؛ وهو قوله تعالى:(فنقِبوا) بكسر القاف والتشديد وهو مروىٌ عن (الأصمعي عن أَبِي عَمْرٍو، وأبي حيوة .)([2])، وفي توجيه هذه القراءة يقول العلماء: (قراءة ابن عباس وغيره فَنَقَّبُوا بكسر القاف المشدّدة على الأمر خطابا لأهل مكة، أي: فسيحوا في البلاد وابحثوا)([3])

فوجه القراءة هذا يدعو إلى السير في الأرض و النظر في أحوال السابقين، والاعتبار بصنيع الله بهم؛ ولن يتحقق ذلك إلا ببقاء الآثار الشاهدة بذلك؛ وهذه القراءة شاذة إلا أن(القراءة الشاذة حجة عند الأصوليين في استنباط الحكم الشرعي، وإثباته بها)([4])

فدعاوى هدم الآثار، وطمسها بعد إذ هو تضييع للحقائق القرآنية الثابتة، وابتعاد عن المنهج الوسطي للإسلام ، والله أعلم .

---

[1] – سورة ق : آية٣٦

[2] – الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها– يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سواده أبو القاسم الهُذَلي اليشكري المغربي (المتوفى: ٤٦٥هـ) – تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب – جـ١صـ٦٤٠ مؤسسة سما للتوزيع والنشر – طـ١ – ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

[3] – منار الهدى في بيان الوقف والابتدا ومعه المقصد لتلخيص ما في المرشد– أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (المتوفى: نحو ١١٠٠هـ)– تحقيق: شريف أبو العلا العدوى جـ١صـ٧٣٦– دار الكتب العلمية – بيروت– طـ١– ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م

[4] – المرجع السابق صـ٧٥

المطلب الثانى : رؤية الآثار والتأمل فيها باعث على الاتعاظ والاعتبار

بيَن القرآن الكريم أن من أهم عوامل تحقيق الاتعاظ والاعتبار رؤية الآثار؛ فهى دليل على إحاطة الله بخلقه وقدرته عليهم، ومحفز لسلوك مسلك المتقين والابتعاد عن طريق الضالين، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)([1])؛ فالله سبحانه وتعالى يدعو خلقه إلى النظر فى آثار السالفين للاتعاظ والاعتبار، (أو لم يروا ما أنزلنا بعاد، وثمود ، ومدين، وأمثالهم لما كذبوا الرسل ، فتدبروا ذلك بنظرهم إلى مساكنهم ودورهم ، وبما سمعوا على التواتر بما حل بهم ، أفليس فيه عبرة وبيان لهم ؟!)([2]) الإجابة بلى .

إن بقاء الآثار والمحافظة عليها دليل واقعى مشاهد محسوس على ما يحكيه القرآن الكريم عن قوة السابقين وعددهم ؛ وهذا ما أكده الإمام الرازى رحمه الله حيث قال : (أما بيان أنهم كانوا أكثر من هؤلاء عدداً فإنما يعرف في الأخبار، وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثاراً في الأرض فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم مثل الأهرام الموجودة بمصر، ومثل هذه البلاد العظيمة التى بناها الملوك المتقدمون، ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا)([3])، فالقضاء على الآثار إذن إنما هو قضاء على الأدلة المحسوسة الشاهدة بقدرة الله تعالى؛ لذا نجد العلماء اعتبروا السفر لرؤية الآثار سفر عبرة؛ فهو محبوب و مطلوب شرعا لتحقيق الاتعاظ والاعتبار.

---

[1] – سورة فاطر آية(٤٤)

[2] – –تفسير القرطبى ج٤ص٣٦٠

[3] –المرجع السابق جـ ٢٧صـ ٧٨

يقول ابن العربي رحمه الله : (قسم العلماء رضي الله عنهم الذهاب في الأرض قسمين : هربا وطلبا ، وأما قسم الطلب فينقسم قسمين : طلب دين وطلب دنيا ؛ فأما طلب الدين فيتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام : الأول : سفر العبرة ؛ قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) وهو كثير. ويقال : إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها. وقيل : لينفذ الحق فيها. الثاني : سفر الحج. والأول وإن كان ندبا فهذا فرض. الثالث : سفر الجهاد وله أحكامه. الرابع : سفر المعاش ؛ فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لا يزيد عليه؛ من صيد أو احتطاب أو احتشاش فهو فرض عليه، الخامس : سفر التجارة والكسب الزائد على القوت وذلك جائز بفضل الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى :(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ)([1]) يعني التجارة ، وهي نعمة منَ الله بها في سفر الحج ؛ فكيف إذا انفردت، السادس : في طلب العلم وهو مشهور. السابع : قصد البقاع ؛ قال صلى الله عليه وسلم :(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)([2]) الثامن: الثغور للرباط بها وتكثير سوادها للذب عنها، التاسع : زيارة الإخوان في الله تعالى)([3])

---

[1] – سورة البقرة (١٩٨)

[2] – جزء من حديث نصه : عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه و سلم ومسجد الأقصى) صحيح البخارى –كتاب الكسوف – باب باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة –حديث رقم ١١٣٢ جـ١– صـ٣٩٨.

[3] –الجامع لأحكام القرآن– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ)–تحقيق :هشام سمير البخاري –ج٥ص٣٥٠ دار عالم الكتب ط١ ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٣ م

فيستفاد من ذلك دعويا: أن بقاء الاتعاظ والاعتبار مرتبط ببقاء الآثار؛ فإن هدمت الآثار وحرِمت زيارتها ضاعت حقيقة الاتعاظ والاعتبار؛ وتعطلت آيات القرآن الكريم الكثيرة القاضية بذلك .

المطلب الثالث: وصف القرآن الكريم الدقيق للآثار مدعاة للحفاظ عليها للتدبُر

دقَق القرآن الكريم في وصف ما صنعه السابقون في بيوتهم، وقصورهم، ومصانعهم.. لتتجلى حقيقة الاتعاظ والاعتبار؛ فالاتعاظ والاعتبار يتحقق في شيء عظيم الصنعة ، دقيق الإحكام ، جميل المظهر؛ ولا يتحقق في شيء عادي لا قيمة له ولا فائدة منه. مثال ذلك : ما جاء في وصف القرآن الكريم (للقصر) بأنه (مشيد) في قوله تعالى: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ)([1])؛ فعظم صنعة القصر، ودقة إحكامه، وجمال مظهره؛ تظهر من خلال شرح المفسرين لكلمة (مشيد) :

يقول القرطبي رحمه الله:(وَقَصْرٍ مَشِيدٍ: قال قتادة والضحاك ومقاتل : رفيع طويل . وقال سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومجاهد : مجصص ؛ من الشيد وهو الجص. وقال ابن عباس : مشِيدٍ أي حصين . وقال الجوهري : والمشيد المعمول بالشيد. والشيد "بالكسر" : كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح المصدر. تقول : شاده يشيده شيدا جصصه. والمشيد "بالتشديد" المطول، وقال الكسائي :"المشيد" للواحد ، من قوله تعالى:(وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) والمشيد للجمع ، من قوله تعالى:(فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ)([2])) ([3])

فكلمة (مشيد) في الآية القرآنية تدل على طول القصر، وكبر حجمه ، وقدرته على تحصين من بداخله ؛ فضلا عن جمال شكله الخارجي المزيَن بالألوان الجملية

---

[1] – سورة الحج آية ٤٥

[2] – سورة النساء : ٧٨

[3] – تفسير القرطبي ج١٢ص٧٣–٧٧بتصرف يسير.

الزاهية المصنوعة من الجص والبلاط وغيرهما ؛ أفلا يسوغ لنا هذا الوصف الدقيق لآثار السابقين الحفاظ عليها للاتعاظ والاعتبار، وإدراك أن القوة لله وحده.

المطلب الرابع : بعض الفوائد الدعوية من رؤية الآثار([1]) :

– إن آثار الأمم السابقة كناطق بلسان حالهم ومآلهم، فمن يشاهدها تتوارد على نفسه الخواطر، وعلى عقله الأفكار والتساؤلات:كيف كانوا؟ أين هم الآن؟ وبهذا يصل المشاهد لها إلى أصل من أعظم أصول العلم؛ وهو العلم بسنن الله تعالى فى شؤون البشر عامة قال تعالى:(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)([2])

– يصل المشاهد للآثار إلى أصل واعتبار هام وهو البحث فيما يتعلق ببدء الخلق؛ ليكون من فوائده قياس النشأة الآخرة على النشأة الأولى قال تعالى:(قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)([3]))

– تبين رؤية الآثار أن الأمم التى شيدت حضارتها على القوة المادية وحدها ودون مراعاة الأخذ بسنن الله فى النظم والعلاقات البشرية فى كافة جوانبها سرعان ما تصبح هذه الأمم أثرا بعد عين، وذكرى يرويها التاريخ للأجيال المتعاقبة...وكأنى بتلك الأمم تنادى من ماضيها السحيق: أيها القادمون من بعدى خذوا منى الدروس والعبر، ولا تصنعوا مثل صنيعى ولكن أقيموا حضارتكم على سبل الهدى والرشاد

---

[1] – السياحة – ا.د/ عبد الباسط السيد مرسى صـ ١٤٢–١٤٤بتصرف يسير– وزارة الأوقاف المصرية – القطاع الدينى – ١٩٨٥م

[2] – سورة آل عمران : الآية ١٣٧

[3] – سورة العنكبوت : الآية ٢٠

المبحث الثانى

دعوة القرآن الكريم إلى البحث عن الأسرار العلمية المبثوثة فى الآثار

أثبت القرآن الكريم أن السابقين لهم علم فى جميع مجالات الحياة؛ فى الزراعة، والتجارة، والصناعة،.. يشهد بذلك ما خلَفوه من آثار دقيقة الصنعة محكمة الإتقان؛ إلا أنهم فرحوا بما عندهم من العلم، وأخذهم الغرور فحاد بهم عن صراط الله المستقيم .

قال تعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ. فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)([1])

يقول الإمام الرازى رحمه الله:(لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين ليست إلا الهلاك والبوار مع أنهم كانوا أكثر عدداً، ومالاً، وجاهاً من هؤلاء المتأخرين فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة، والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار والحسرة والبوار؛ فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين، ثم بيّن تعالى أن أولئك الكفار لما جاءتهم رسلهم بالبينات والمعجزات فرحوا بما عندهم من العلم)([2])

ولكن ما هو العلم الذى فرح به السابقون وضادُوا به الله ورسله؟

---

[1] – سورة غافر:الآيات من ٨٢ إلى ٨٥

[2] – مفاتيح الغيب – الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي– جـ ٢٧صـ ٧٨– دار الكتب العلمية ط ١بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

اختلف المفسرون فى العلم الذى اعتمد عليه السابقون وفرحوا به، والذى جاء فى قوله تعالى(فَلَمَّا جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون) ([١]) قيل: هو علم الفلسفة، وقيل: الشبهات، وقيل: العلم الدنيوى التجريبى.

يقول الإمام الرازى رحمه الله:(أما إذا قلنا إنه– الضمير في قوله فَرِحُواْ– عائد إلى الكفار فذلك العلم الذى فرحوا به أى علم كان؛ وفيه وجوه:

الأول: أن يكون المراد الأشياء التي كانوا يسمونها بالعلم وهى الشبهات التي حكاها الله عنهم في القرآن كقولهم: (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ)([٢]) ، وقولهم: (لَوْ شَاء اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا)([٣]) ، وقولهم: (مَن يُحيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ)([٤])، (وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً)([٥])، وكانوا يفرحون بذلك، ويدفعون به علوم الأنبياء كما قال: (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)([٦])

الثانى: يجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه، وصغروا علم الأنبياء إلى علومهم؛ وعن سقراط أنه سمع بمجيء بعض الأنبياء؛ فقيل له: لو هاجرت، فقال: نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا إلى من يهدينا .

الثالث: يجوز أن يكون المراد علمهم بأمور الدنيا، ومعرفتهم بتدبيرها؛ كما قال تعالى: (يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مّنَ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)([٧]) ، (ذَلِكَ

---

[١] – سورة غافر:الآية: ٨٣

[٢] – سورة الجاثية: ٢٤

[٣] – سورة الأنعام :١٤٨

[٤] – سوة يس: ٧٨

[٥] – سورة الكهف :٣٦

[٦] – سورة المؤمنون: ٥٣

[٧] – سورة الروم: ٧

مَبْلَغُهُمْ مّنَ الْعِلْمِ)([1]) فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي معرفة الله تعالى، ومعرفة العبادة ، وتطهير النفس عن الرذائل لم يلتفتوا إليها، واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به.

ويرى الباحث أن العلم الذى اعتمد عليه السابقون هو الأخير لأن الآية جاءت فى سياق الحديث عن القوة المادية من كثرة المال، والأولاد، والعتاد؛ وأظهر ما يكون فى ذلك العلم بأمور الدنيا، والمعرفة بتدبيرها ا.هـ

وهذا العلم الذى خلفه السابقون فى آثارهم يجب البحث عنه والاستفادة منه عملا بقول الله تعالى:(وقل رب زدنى علما)([2]) ، فالعلم الدنيوى هو أحد نواميس الله فى خلقه، واكتشافه هو طاعة لله تعالى؛ فالبعثات العلمية التى تبحث فى آثار السابقين، واكتشاف العلوم الدنيوية المتعددة؛ مثل فن التحنيط ، وعمل المثلثات الهندسية ، وأنظمة الرى المتعددة ، وكيفية نحت البيوت بأشكال متعددة فى الجبال ؛... إلى غير ذلك هو من العلم المندوب طلبه؛ طالما تعلق به كثير فائدة، والتزم بالضوابط المشروعة؛ فالعلم الدنيوى شأنه شأن السكين إذا استخدم فى القتل، أو فى قطع اللحم للمساكين؛ والعلم المنهى عنه فى الآية السابقة هو العلم الذى تعلق به الأشر، والبطر، والغرور، والانقطاع عن الله ، أما العلم الذى يخلو من ذلك فلا حرج فيه .

وفى كلام جامع معبر يقول فضيلة الدكتور محمد فتح الله بدران رحمه الله تحت قانون السير والنظر:(ومن عجب أمر هذا القانون والعلم أنه يهدى العلماء إلى معرفة القوانين والسنن والمناهج السابقة، ويأخذ بيد العلم إلى البحث والدرس والتقصى لأحوال السابقين حيث يقول رب العالمين:(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي

---

[1] – سورة النجم: ٣٠

[2] – سورة طه : ١١٤

الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ)([١]) بل ويأمر رب العزة الإنسانية كلها، والعلماء خاصة ، والمتخصصين على الأخص من المؤمنين أن يواصلوا السير في الأرض بكل قوة، وأن يدققوا النظر والاستنباط والقراءة الصحيحة بكل همة لكل ما يكتشفون أو يجدون من الحفريات، والفقريات، وغير الفقريات، والآثار والركام، والآبار، والمعادن، والعناصر، والمواد والحقول الجوفية، وغيرها..وغيرها حتى يصلوا..وسيصل العلم الإنساني على هدى من هذا القانون القرآني إلى الإنسان الأول من الخلق، بل إلى معرفة بدء الخلق، حيث ينفرد رب الدنيا والآخرة بإنشاء النشأة الآخرة) ([٢])

وعلى هذا فإن هدم الآثار أو طمسها يعطل البحث عن الأسرار العلمية المبثوثة فيها، والتي يمكن من خلالها اكتشاف أشياء جديدة مفيدة للإنسانية.

---

[١] – سورة آل عمران : الآية ١٣٧

[٢] – السياحة – ا.د/ عبد الباسط السيد مرسى صـ١٤٥–١٤٦ مرجع سابق.

المبحث الثالث

ذكر القرآن الكريم أسماء آثار بعينها، والدقة في وصفها

ذكر القرآن الكريم أسماء آثار بعينها، ووصفها وصفا دقيقا؛ لتستنطق أخبار السابقين، ولتكون عبرة لمن أراد أن يذكَر أو أراد شكورا؛ فرؤية الآثار تعين على معايشة قصص القرآن الكريم، وتزيد المؤمن ثباتا على الحق؛ وتحمله على الوجل من خشية الله ؛ ولعل هذا من أبرز دلالات حديث القرآن الكريم عن آثار السالفين، يقول تعالى:(أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأٌّ رْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأٌّ بْصَارُ وَلَاكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)([1])

يقول الإمام الزمخشرى رحمه الله: (يحتمل أنهم لم يسافروا فحثّوا على السفر؛ ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم، ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا، وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا؛ فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا)([2])

والقرآن الكريم يعجُ بذكر آثار السابقين، وعلى نهج الاستقراء الناقص نكتفى ببعض الأمثلة لتدل على ما عداها:

---

[1] – سورة الحج : ٤٦

[2] – تفسير الكشاف – جـ٣صـ١٦٣مرجع سابق

المطلب الأول: سفينة سيدنا نوح عليه السلام

دعا سيدنا نوح عليه السلام قومه مدة طويلة من الزمن فلم يستجب له إلا القليل؛ فدعا عليهم بالهلاك والبوار؛ فاستجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع سفينة عظيمة تحمل المؤمنين وتنجيهم من عذاب الله تعالى، قال تعالى:(وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوَاْ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)([1])

وفي وصف هذه السفينة يقول ابن كثير رحمه الله:(قال بعض السلف: أمره الله تعالى أن يغرز الخشب ويقطعه ويبسه فكان ذلك في مئة سنة، ونجرها في مئة سنة أخرى وقيل في أربعين سنة والله أعلم... قالوا كلهم وكان ارتفاعها في السماء ثلاثين ذراعاً ثلاث طبقات كل طبقة عشرة أذرع فالسفلى للدواب والوحوش، والوسطى للإنس، والعليا للطيور، وكان بابها في عرضها، ولها غطاء من فوقها مطبق عليها، قال قتادة: قد أبقى الله سفينة نوح عليه السلام على الجودي من أرض الجزيرة عبرة وآية حتى رآها أوائل هذه الأمة وكم من سفينة قد كانت بعدها فهلكت وصارت رماداً)([2])

ورؤية سفينة سيدنا نوح عليه السلام تعين على معايشة قصص القرآن الكريم، وتؤكد على تحقق سنة نصر عباد الله المؤمنين (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ)([3])

---

[1] –سورة هود لآيات ٣٨،٣٦،٣٧

[2] – تفسير ابن كثير جـ٢صـ٥٤٣،٥٤٤

[3] – سورة غافرالآية: ٥١

ولقد هيأ الله الأسباب لكثير من الباحثين فوجدوا ذلك الأثر العظيم الذى يثبت عناية الله ورعايته لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم؛ (فبعد أكثر من ستة أعوام أمضاها فريق من العلماء والمتخصصين فى هذه الأمور تمَ العثور على سفينة سيدنا نوح عليه السلام التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم على الحدود التركية الإيرانية... ويضم الموقع البعيد المكتشف حديثا جسما مدفونا يشبه السفينة، وعثر العلماء الأمريكيون والشرق الأوسطيون فى المنطقة المحيطة بموقع السفينة المكتشفة على حجارة ضخمة، وقد حفرت ثقوب فى طرف واحد من كل منها، ويعتقد بأنها حجارة مرساة من النوع الذى كانت تجره السفن خلفها فى العصور الغابرة لتعمل على تثبيتها وحفظ توازنها، ويقدَر عمر السفينة بأكثر من مئة ألف عام.

ويقول رئيس فريق الباحثين الأمريكى ديفيد فاسولد وهو خبير فى حطام السفن: إن الاختبارات التى أجريت بالردار تحت سطح الأرض فى الموقع قد أنتجت صورة جيدة جدا.. وأضاف إن الصورة التى رسمتها أجهزة الردار على عمق كبير جدا أسفل الجزء الخلفى من السفينة واضحة جدا لدرجة أنه بوسعك عدُ ألواح الأرضية بين الجدران)([1])

فبقاء ذلك الأثر والحفاظ عليه يرسم الصورة كاملة لمعانى الصبر والنصر، والعسر واليسر.

---

[1] – أطلس تاريخ الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم – سامى عبدالله المغلوث صـ٨٠،٨١ بتصرف يسير مكتبة العبيكان ط٦/ ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م

المطلب الثاني: (صرح فرعون)

قال تعالى: (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَأَيّهَا الْملأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطّينِ فَاجْعَل لّي صَرْحاً لّعَلّيَ أَطّلِعُ إِلَىَ إِلَهِ مُوسَىَ وَإِنّي لأظُنّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقّ وَظَنّوَاْ أَنّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّالِمِينَ)([1])

قصَ القرآن الكريم علينا جبروت فرعون وظلمه، وبناءه صرحا منيفا– صرح فرعون– ليحادَ به الله تعالى، وإمعانا فى ظلفه وغروره أمر وزيره هامان أن يصنعه من الطوب الموقد عليه نارا؛ ليكون أبلغ فى القوة والمتانة؛ يقول ابن كثير رحمه الله : (أمر فرعون وزيره هامان أن يبنى له صرحاً؛ وهو القصر العالى المنيف الشاهق، وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوى كما قال تعالى:(فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً) ولهذا قال إبراهيم النخعى: كانوا يكرهون البناء بالآجر، وأن يجعلوه في قبورهم)([2])

ويشرح الإمام الزمخشرى رحمه الله كيف تمت عملية البناء فيقول:

(روى أنه لما أمر ببناء الصرح ، جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ، وأمر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير ، فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق ، فكان البانى لا يقدر أن يقف على رأسه يبنى ... ويروى في هذه القصة : أنّ فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو

---

[1] –سورة القصص: ٣٨:٤٠

[2] – تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) تحقيق : محمود حسن – جـ٤صـ ٩٧ بتصرف يسير دار الفكر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

السماء ، فأراد الله أن يفتنهم فردّت إليه وهي ملطوخة بالدم ؛ فقال : قد قتلت إله موسى ، فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه ، والله أعلم بصحته)([١])

(وهذا الكلام من الإمام الزمخشرى رحمه الله فى طريقة البناء مقبول؛ لأنه لا يتعلق بأمر عقدى ، ولكونه من أخبار السابقين التى تقبل طالما تتفق مع الإسلام ولا يوجد ما يعارضها، فضلا عن تظاهر آيات القرآن الكريم على إمكانية حدوثها؛ فهو من قال :(أنا ربكم الأعلى) ([٢]) فلا يستغرب أن يأتى بخمسين ألف بناء بخلاف الأتباع والأجراء لاسيما وهو القائل :(أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى)([٣])

لذا نجد الحافظ ابن كثير رحمه الله يصف هذا الصرح المنيف الذى بناه فرعون بقوله :(لم ير فى الدنيا بناء أعلى منه) ([٤])

فكلام الإمام الزمخشرى رحمه الله مقبول لتمكن فرعون من أسباب القوة التى غرتَه وجعلته يقول:(لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ.أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّعَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ)([٥]) فكان عاقبته الهلاك والخسار) ا.هـ الباحث.

وإذا وجد هذا الأثر؛ فإن رؤيته تبرز مدى معاناة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه وصبره عليهم، وهذا ما جعله من أولى العزم من الرسل؛ قال تعالى: (وَإِذْ

---

[١] – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل– أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمى – تحقيق: عبد الرزاق المهدى – جـ٣ صـ٤١٧ دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون .

[٢] – سورة النازعات آية : ٢٤

[٣] –سورة الزخرف آية :٥١

[٤] – تفسير ابن كثير – جـ٣ صـ٤٧٣ مرجع سابق.

[٥] – سورة غافر الآياتان :٣٦،٣٧

أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) (١)

و يظهر لكل ذى لبِ دلالة معنى قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :(يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِىَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ)(٢)

---

١ –سورة الأحزاب آية : ٧

٢ –جزء من حديث نصه : (عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– نَاسًا فِى الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ وَأَعْطَى أُنَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْقِسْمَةِ فَقَالَ رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ. قَالَ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– – قَالَ – فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ – قَالَ – فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ ثُمَّ قَالَ « فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ ثُمَّ قَالَ « يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِىَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ ». قَالَ قُلْتُ لاَ جَرَمَ لاَ أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا) صحيح مسلم–كتاب الزكاة– باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِىَ إِيمَانُهُ – حديث رقم ٢٤٩٤ جـ٣صـ١٠٩، والصِّرف : شجر أحمر يصنع منه صبغ يدبغ به الجلود، المرجع السابق جـ صـ١٠٩

المطلب الثالث: جسد فرعون

قال تعالى:(وَجاوَزْنا بِبَنِي إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ.آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ. فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ)([1])

لم ينفع فرعون قوله آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ لأنه جاء عند معاينة العذاب، وجعل الله نهايته عبرة وآية حيث ألقى بجسمه الخالى من الروح على مكان مرتفع من الأرض؛ ليقطع ألسنة المشككين فى قدرة الله على إماتته، وليكون عبرة وعظة للأحياء الذين يعيشون من بعده ، قال تعالى: (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) ([2])، ويرى بعض المفسرين أن الدلالة فى قوله تعالى لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً هى لبنى إسرائيل فقط ليتحققوا من موته، يقول ابن كثير رحمه الله:(أى لتكون لبني إسرائيل دليلا على موتك وهلاكك وأن الله هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وأنه لا يقوم لغضبه شيء)([3]) ويرى البعض الآخر أن الدلالة لبنى إسرائيل و لغيرهم، يقول د. طنطاوى رحمه الله:((وإننا اليوم بعد أن حل بك الموت ، نلقى بجسمك الذي خلا من الروح على مكان مرتفع من الأرض لتكون عبرة وعظة للأحياء الذين يعيشون من بعدك سواء أكانوا من بنى إسرائيل أم من غيرهم ، حتى يعرف الجميع بالمشاهدة أو الإخبار، سوء عاقبة المكذبين ، وأن الألوهية لا تكون إلا لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد)([4])

---

[1] – سورة يونس : الآيات ٩٠ :٩٢

[2] – سورة يونس: الآية ٩٢

[3] – تفسير ابن كثير جـ٢صـ٥٢٣

[4] – التفسير الوسيط جـ ٧صـ١٢٦ مرجع سابق.

ويرى الباحث أن العبرة والعظة بجسد فرعون لبنى إسرائيل وغيرهم:

- لأن الآية لم تخصص بنى إسرائيل بالاعتبار فتبقى على عمومها لعدم وجود مخصص.
- الاعتبار بمصير الظالمين يحتاج إليه بنو إسرائيل وغيرهم فلا يجوز قصره عليهم
- كلمة (خلفك) فى الآية تفيد كل من أتى بعد فرعون؛ من بنى إسرائيل وغيرهم، (فخلف ضد تقدم وسلف)([1]) فلا يجوز قصرها على مرحلة زمنية بعينها.

وعلى هذا؛ فالحفاظ على جسد فرعون كأثر يفيد الدعوة الإسلامية:

– فى تحقيق الاعتبار باستدراج الظالمين وإهلاكهم؛ لذا نجد التذييل الجميل فى قوله تعالى: (وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ) يقصد به:(دعوة الناس جميعا إلى التأمل والتدبر ، والاعتبار بآيات الله ، وبمظاهر قدرته)([2])

–التأكيد على أن قصص القرآن الكريم حقائق تاريخية وليست أساطير([3]) خرافية؛ فقد دفع التحريف الذى وقع فى تراث الأمم السابقة عامة، وفي المرويات الإسرائيلية خاصة بعض الباحثين العلميين الأجانب إلى التشكيك فى الأنبياء

---

[1] – غريب القرآن – أبوالقاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهانى المتوفى سنة ٥٠٢ هـ جـ١صـ١٥٥

[2] – المرجع السابق جـ ٧صـ١٢٦

[3] –(الأساطير هى حكايات غريبة خارقة ظهرت فى العصور الموغلة فى القدم، وتناقلتها الذاكرة البشرية عبر الأجيال، وفيها تظهر آلهة الوثنيين وقوى الطبيعة بمظهر بشرى، وكان القصد من هذه الحكايات تفسير الظواهر الطبيعية أو العقائد الدينية أو الأحداث التاريخية الموغلة فى التاريخ القديم، وقد كانت للعرب فى جاهليتهم مثل كل الأمم الوثنية أساطيرهم وخرافاتهم) ينظر: موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة جـ١صـ٢٤مرجع سابق.

وقصصهم؛ فتأتى هذه الآثار كأدلة مادية محسوسة على صدق قصص القرآن الكريم؛ فتقدم علم الآثار، وتفوق العلماء في قراءة الأحافير جاء ليثبت صدق القرآن الكريم، وتفرّده بمعلومات دقيقة؛ كاكتشاف جثة فرعون ، وإثبات علاقة التأليه مع شعبه؛ مما دفع بعض المتشككين إلى الرجوع عن آرائهم، يقول الدكتور موريس بوكاى وقد شاهد «مومياء» فرعون بنفسه في متاحف القاهرة: (أىُ بيان رائع لآيات القرآن ذلك الذى يخص بدن فرعون، والذى تهبه قاعة المومياات الملكية بدار الآثار بالقاهرة لكل من يبحث في معطيات المكتشفات الحديثة عن أدلة على صحة الكتب المقدسة)([1]) ، وعلى هذا فإن تدمير الآثار أو طمسها يضيع هذه المعانى الجميلة، ويضر بالدعوة ولا يفيد. والله أعلم

الفصل الثانى

حديث السنة النبوية عن الآثار التاريخية

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول

تعامل النبى ﷺ مع الآثار التاريخية

ويتكون مطلبين:

المطلب الأول : ديار قوم سيدنا صالح عليه السلام

---

[1] – علوم القرآن الكريم – نور الدين محمد عتر الحلبي – جـ١صـ٢٤٥ مطبعة الصباح – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

المطلب الثانى: آطام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم

المبحث الثانى

تعامل الصحابة الكرام رضى الله عنهم مع الآثار التاريخية

ويتكون مطلبين:

المطلب الأول : حال الصحابة الكرام رضى الله عنهم مع آثار السالفين

المطلب الثانى: شبهة ... والرد عليهـا

المبحث الأول

تعامل النبى ﷺ مع الآثار التاريخية

إن السنة النبوية المصدر الثانى من مصادر التشريع ؛ ننهل من معينها، ونقطف من أزاهيرها ما ينير لنا الطريق، ويوضح لنا الحق.

ولقد بيَنت لنا السنة النبوية كيفية التعامل مع آثار السالفين، وظهر هذا من خلال أقوال النبى صلى الله عليه وسلم، وأفعاله، وتقريراته؛ وهذا ماسيتضح بأمر الله فى المطلبين التاليين:

المطلب الأول : ديار قوم سيدنا صالح عليه السلام

إن قصة خروج النبى ﷺ إلى تبوك ،ومروره بديار قوم سيدنا صالح عليه السلام أساس فى معرفة حديث السنة النبوية عن آثار السالفين ؛ وكيفية التعامل معها؛ فالنبى الكريم صلى الله عليه وسلم ما ترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبين الحق فيها خاصة فيما يتعلق بالتراث الإنسانى وأحوال السابقين ، وما كان النبى صلى الله عليه وسلم ليترك أمته دون أن يبين ما ينبغى فعله فى أمر تختلف فيه المواقف ،وتتفاوت فيه الأفهام وتترتب عليه عليه نتائج دعوية لا يعلم مداها إلا الله سبحانه وتعالى .فمرور النبى صلى الله عليه وسلم بديار قوم سيدنا صالح عليه السلام هو بمثابة الشرح الوافى للمسلمين فى كيفية التعامل مع آثار السالفين لاسيما وأن الأحاديث التى وردت فى هذا الشأن كثيرة ؛ وجلُها فى البخارى ومسلم ، وما عداهما فصحيح وقوى يعمل به فى مثل هذا الأمر.

١- إن ديار قوم سيدنا صالح عليه السلام بمثابة متحف مفتوح فيه آثار القوم المتعددة من الطرق ؛ والآطام ، والآبار، والآيات الدالة على حياة القوم وأحوالهم :

١- ففى الطرق التى كانت تمشى فيها ناقة سيدنا صالح عليه السلام ذهابا وإيابا؛ جاء حديث المصطفى ﷺ عَنْ جَابِرٍ: قَالَ لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ لَا

تَسْأَلُوا الْآيَاتِ وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا فَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا فَعَقَرُوهَا فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قِيلَ مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ هُوَ أَبُو رِغَالٍ فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ) (١).

فالنبى الكريم ﷺ فى هذا الحديث أشار إلى موضع ورود الناقة وصدورها كدلالة عملية لقصة سيدنا صالح عليه السلام ولم يأمر بتغيير معالمها، أو غلقها، أوتسويتها ؛ بل أمر بالتصديق، والبعد عن اللجاج والتكذيب، و اجتناب سؤال الآيات سؤالا فيه التكذيب والريب .

٢- وفى الآبار ؛ وضحت السنة النبوية أن آبار ديار قوم سيدنا صالح عليه السلام تنقسم إلى قسمين: آبار المفسدين ، والبئر الذى كانت ترده الناقة ؛ أما آبار المفسدين فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الشرب، وعجن الدقيق منها؛ وأمرهم بأن يهرقوا الماء المأخوذ منها، وأن يعلفوا الإبل ما عجن منها ، أما البئر الذى كانت ترده الناقة فأمرهم أن يستخدموا ماءه دون حرج ؛(عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره : أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة)(٢)

---

١ – المسند – مسند جابر بن عبد الله–ج٢٢ص٦٦ – الرسالة – الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م– تحقيق الأرناؤوط وآخرون وقال المحققون: حديث قوي ، وهذا إسناد على شرط مسلم

٢ – صحيح البخارى –كتاب الأنبياء – باب قول الله تعالى(وإلى ثمود أخاهم صالحا) حديث رقم ٣١٩٩ جـ٣صـ١٢٣٧

يقول الإمام النووى رحمه الله :(فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت هناك تردها الناقة؛ وفى رواية فاستقوا من بئارها أما الأبئار فبإسكان الباء وبعدها همزة جمع بئر كحمل وأحمال ويجوز قلبه فيقال آبار بهمزة ممدوده وفتح الباء وهو جمع قلة وفى الرواية الثانية بئارها بكسر الباء وبعدها همزة وهو جمع كثرة وفى هذا الحديث فوائد منها النهى عن استعمال مياه بئار الحجر إلا بئر الناقة ، ومنها لو عجن منه عجينا لم يأكله بل يعلفه الدواب ، ومنها أنه يجوز علف الدابة طعاما مع منع الآدمى من أكله، ومنها مجانبة آبار الظالمين ، والتبرك بآبار الصالحين.)([1])

فالنبى الكريم ﷺ فى هذا الحديث لم يأمر بتغوير هذه الأبئار أو ردمها أو تغيير معالمها ؛ بل أبقاها كما هى ؛ ثم شرع فى بيان حكم الشرب والعجن منها ؛ فنهى عن استعمال مياه بئار الحجر إلا بئر الناقة تبركا بآبار الصالحين.

ففعل النبى صلى الله عليه وسلم فيه أكبر دلالة على بقاء هذه الآثار، وعدم تغويرها أو تغيرها.

٣- إن ما أمر النبى ﷺبه هو المعنى الحقيقى من بقاء الآثار وهو الاتعاظ والاعتبار والتدبر والبكاء والتأمل فى قدرة الله التى لا تضاهيها قوة

(عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺقال (لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم) ([2])

---

[1] -شرح النووى على صحيح مسلم – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووى– كتاب الزهد – باب النهى عن الدخول على أهل الحجر إلامن يدخل باكيا– جـ١٨صـ١١١– دار إحياء التراث العربي – بيروت ط ١٣٩٢هـ

[2] – أخرجه البخارى –كتاب الصلاة – باب ٢١ – باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب – ج١ص١٦٧ حديث رقم ٤٢٣ – هؤلاء المعذبين بفتح الذال المعجمة يعني ديار هؤلاء وهم أصحاب الحجر

و (عن الزهري قال أخبرني سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهم : أن النبي صلى الله عليه و سلم لما مرَ بالحجر قال (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم) . ثم تقنع بردائه وهو على الرحل ([1])

و (عن الزهري عن سالم أن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم) ([2])

فهذه الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة تدعو المسلم إذا دخل ديار قوم ظلموا أنفسهم وتعرضوا لعذاب الله وبقيت آثارهم أن يدخل باكيا متعظا متدبرا متأملا مدركا قدرة الله الواحد الأحد ؛ ولم تشر من قريب أو بعيد إلى هدمها ، أو تغويرها ، أو إزالتها؛ بل أجاز دخولها – المقتضى بقاءها وعدم هدمها– مقترنا بالبكاء والاتعاظ .

قال الخطابي : (معنى هذا الحديث أن الداخل في ديار القوم الذين أهلكوا بخسف وعذاب إذا دخلها فلم يجلب عليه ما يرى من آثار ما نزل بهم بكاء، ولم يبعث عليه حزنا إما شفقة عليهم وإما خوفا من حلول مثلها به فهو قاسي القلب، قليل الخشوع ،غير مستشعر للخوف والوجل.

قوم ثمود وهؤلاء قوم صالح عليه السلام و الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم بلد بين الشام والحجاز وعن قتادة فيما ذكره الطبري الحجر اسم الوادي الذي كانوا به وعن الزهري هو اسم مدينتهم ينظر في ذلك : عمدة القاري شرح صحيح البخاري– بدر الدين العيني الحنفي–كتاب الصلاة – باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب

[1] – (أن يصيبكم ما أصابهم) حذر أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب . (تقنع) تستر . (الرحل) مايوضع على البعير مثل السرج للفرس

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري– بدر الدين العيني الحنفي–كتاب الصلاة – باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب جـ١ صـ٤٣٣

وقال ابن الجوزى: (التفكر الذي ينشأ عنه البكاء في مثل ذلك المقام ينقسم ثلاثة أقسام أحدها تفكر يتعلق به تعالى إذ قضى على أولئك بالكفر، الثانى يتعلق بأولئك القوم إذا بارزوا ربهم الكفر والفساد، الثالث يتعلق بالمارِ عليهم ؛ لأنه وفق للإيمان ، وتمكن من الاستدراك والمسامحة في الزلل)([1])

ويقول الإمام النووى رحمه الله : (فَيَنْبَغِي لِلْمَارِّ فِي مِثْل هَذِهِ الْمَوَاضِع الْمُرَاقَبَة، وَالْخَوْف ،وَالْبُكَاء ، وَالِاعْتِبَار بِهِمْ وَبِمَصَارِعِهِمْ ، وَأَنْ يَسْتَعِيذ بِاَللَّهِ مِنْ ذَلِكَ)([2])

٣-الحكمة فى دخول المسلمين هذه الأماكن باكين: والعبرة فى أمر النبى ﷺالداخل والمارِ بهذه الأماكن باكيا هو الاتعاظ والاعتبار ؛ لأنه إن لم يتعظ ويعتبر كان قاسى القلب ، فيخشى عليه أن يصنع مثل صنيعهم فيصيبه الله بعذاب مثل ما أصابهم

يقول الإمام القسطلانى رحمه الله : (ووجه الخوف هنا أن البكاء يبعثه على التفكّر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكّر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمه بهم وشدة عذابه، فمن مرّ عليهم ولم يتفكّر فيما يوجب البكاء اعتبارًا بأحوالهم، فقد شابههم في الإهمال ودلّ على قساوة قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجرّه ذلك إلى العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم قاله ابن حجر ومن قبله الخطابي.)([3])

---

[1] -المرجع السابق

[2] – شرح النووى – باب لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين – جـ١٨صـ١١١

[3] – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)– ج١ ص٤٣٣– المطبعة الكبرى الأميرية، مصر– ط٦/ ١٣٢٣ هـ

ويظهر لى – والله أعلم– أن الدافع لذلك هو إعجاب المرء بحضارة السابقين، ودقة صنيعهم فربما يجره ذلك إلى الاغترار بهم ، أو الزعم بأن ما وصلوا إليه كان نتيجة تنحيتهم الدين جانبا –كما يقول العلمانيون ومن على شاكلتهم –أو اعتمادهم على العلم فقط والتنكر لصاحب العلم وحده سبحانه وتعالى –كما يقول الإلحاديون ومن على شاكلتهم– لذا ينبغى الاحتياط بالاعتبار والاتعاظ. وعلى الجانب الآخر لا يجوز هدمها أو تغيرها حتى تبقى مكانا للاتعاظ والاعتبار؛ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .اهـ ([1])

ومن العلماء من وجَه الحديث توجيها آخر فبيَن أن العذاب إنما يلحق المنافقين الذين يأتون هذه الأماكن ولم يتعظوا ، وذكر أن قوله ﷺ (أن يصيبكم مثل ما أصابهم) عام أراد به الخاص وهم المنافقون (ويمكن أن يكون المراد أن يصيب منافقيكم عين ما أصابهم فعمم الحكم بالتخويف تسترا عليهم)([2])

ويظهر لى أن هذا الرأى هو الراجح ؛ لأن المنافق يتلون ويتغير؛فلا يميل إلى هؤلاء ، ولا إلى هؤلاء؛ بل ينعق مع كل ناعق ، ويأكل على كل مائدة، فلا يتعظ ولا يتدبر بل يخادع ويداهن فلا يأمن عليه أن يصيبه ما أصابهم ؛ فالنفاق يقتضى عدم الثبات على الحق ، والتزام الموقف الواحد؛ وهذا ما يظهر من معنى كلمة النفاق فى اللغة ؛ يقول ابن منظور رحمه الله : (والنِّفاق بالكسر فعل المنافِق والنِّفاقُ الدخول في الإسلام من وَجْه والخروُج عنه من آخر مشتقّ من نَافِقَاء اليربوع إسلامية وقد نافَقَ مُنافَقَةً ونِفاقاً وقد تكرر في الحديث ذكر النِّفاق وما تصرّف منه اسماً وفعلاً وهو اسم إسلاميّ لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو الذي يَسْترُ كُفْره

---

[1] – الباحث

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخاري– بدر الدين العيني الحنفي–كتاب الصلاة – باب الصلاة في مواضع الخسف والعذاب جـ١ صـ٤٣٣

ويظهر إيمانَه وإن كان أَصله في اللغة معروفاً يقال نافَقَ يُنافِق مُنافقة ونِفاقاً وهو مأْخوذ من النافقاء لا من النَّفَق وهو السَّرَب الذي يستتر فيه لستره كُفْره)([1])

وعلىٰ هذا فإن الداخل فى أماكن آثار السالفين إذا اتعظ واعتبر فلا حرج عليه، وإذا خلا من النفاق فلا يصيبه ما أصاب القوم؛ ببركة إيمانه ، واتعاظه واعتباره ا.هـ ([2])

مما سبق يتبين أن هدم الآثار أو تغيرها هو تعطيل لسنة النبىٰ ﷺ المقتضية الاعتبار والاتعاظ ؛ وهذا مالا يقبله مسلم شرح الله صدره للإسلام، والوسطية ، والاعتدال.

---

[1] –لسان العرب لابن منظور – مادة نفق جأ١٠صـ٣٥٧

[2] – الباحث

المطلب الثانى

آطام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم

دعا النبى نفسه ﷺ إلى الحفاظ على الآثار؛ مثل آطام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم:(عَن ابن عُمَر ؛ أَن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عَن آطام المدينة أن تهدم)([1])، وهذا الحديث صحَحه بدر الدين العينى الحنفى رحمه الله حيث قال:(وهذا إسناد صحيح)([2])

(والآطام جمع أطم بضم الهمزة والطاء وهو بناء مرتفع وأراد بآطام المدينة أبنيتها المرتفعة كالحصون، وقيل الأطم هو كل بيت مربع مسطح، والآطام جمع قلة وجمع الكثرة أطؤم والواحدة أطمة كأكمة، وقد ذكر الزبير بن بكار فى أخبار المدينة ما كان بها من الآطام قبل حلول الأوس والخزرج وبعد حلولهم، وأطال فى ذلك)([3])

فالآطام هى الحصون المرتفعة، والبنايات العالية، والأماكن المحصَنة، والبيوت المربعة المسطحة، فهى تشبه قلعة محمد على باشا فى القاهرة؛ ولكن بصورة مصغرة ؛ والدليل على ذلك:

١- استخدام النبى ﷺ لها فى حماية النساء والصبيان والضعفاء، وتحصنهم بها؛ فعن ابن إسحاق قال : فلما نزل المشركون خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب عسكره بين الخندق وسلع في ثلاثة آلاف ، والمشركون في

---

[1] – مسند البزار– البَزَّارُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ عَمْرٍو البَصْرِيُّ الشَّيْخُ، الإِمَامُ، الحَافِظُ الكَبِيْرُ، أَبُو بَكْرٍ أَحْمَد بن عَمْرِو بنِ عَبْدِ الخَالِقِ البَصْرِيُّ، البَزَّارُ– مسند بن عباس رضى الله عنهما جـ٢صـ٢٥٢

[2] – عمدة القاري شرح صحيح البخارى – بدر الدين العيني الحنفى –كتاب فضائل المدينة . باب حرم المدينة

[3] – ينظر :عمدة القاري شرح صحيح البخارى – بدر الدين العيني الحنفى –كتاب فضائل المدينة . باب حرم المدينة،وينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى – جـ٤ صـ٩٥ دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ

عشرة آلاف من أحابيشها ، ومن تابعهم من بني كنانة ، وأهل تهامة ، وغطفان ، ومن اتبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا باب نعمان إلى جانب أحد ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره ومن معه إلى سلع ، والخندق بينه وبين القوم ، وأمر بالذرارى والنساء فجعلوا في الآطام)([1])

فالآطام هنا تشبه الغرف الموجودة فى قلعة محمد على باشا فى القاهرة ؛ والتى كانت تستخدم فى العمليات العسكرية المختلفة.

٢- صعود النبى ﷺعلى أطم من آطام المدينة، وإخباره الناس بأمور غيبية:

لقد صعد النبى ﷺ على أطم من آطام المدينة؛ لارتفاعها وعلوِها، وأخبر الناس بأمور ستحدث فى المستقبل ؛ فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة ثم قال (هل ترون ما أرى ؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) ([2])

٣- رغبة النبى ﷺ قبل مشروعية الآذان أن يرسل رجالا على الآطام لينادوا بالصلاة ؛ والآطام فى هذا المعنى تشبه المآذن التى كان يعتليها المؤذنون للآذان؛ ومما ورد فى ذلك : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « لَقَدْ أَعْجَبَنِى أَنْ تَكُونَ صَلاَةُ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ قَالَ الْمُؤْمِنِينَ - وَاحِدَةً حَتَّى لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَبُثَّ رِجَالاً فِى الدُّورِ يُنَادُونَ النَّاسَ بِحِينِ الصَّلاَةِ وَحَتَّى هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رِجَالاً يَقُومُونَ عَلَى الآطَامِ يُنَادُونَ الْمُسْلِمِينَ بِحِينِ الصَّلاَةِ حَتَّى نَقَسُوا أَوْ كَادُوا أَنْ يَنْقُسُوا ». قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى لَمَّا رَجَعْتُ - لِمَا رَأَيْتُ مِنَ

---

[1] - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى - تحقيق : عبد المعطي قلعجى جـ٣صـ٤٢٨ دار الكتب العلمية .بيروت ط ١- ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

[2] - صحيح البخارى -كتاب المظالم - باب باب الغرفة والعلية المشرفة في السطوح وغيرها- حديث٢٣٣٥ رقم جـ٢صـ٨٧١

اهْتِمَامِكَ – رَأَيْتُ رَجُلاً كَأَنَّ عَلَيْهِ ثَوْبَيْنِ أَخْضَرَيْنِ فَقَامَ عَلَى الْمَسْجِدِ فَأَذَّنَ ثُمَّ قَعَدَ قَعْدَةً ثُمَّ قَامَ فَقَالَ مِثْلَهَا إِلاَّ أَنَّهُ يَقُولُ قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ وَلَوْلاَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ – قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى أَنْ تَقُولُوا – لَقُلْتُ إِنِّى كُنْتُ يَقْظَانًا غَيْرَ نَائِمٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى « لَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ خَيْرًا »([1]) ؛ فالنبى ﷺ استخدم الآطام ، وحثَ على بقائها؛ لتكون عبرة للمعتبرين، وعظة للمتعظين، وتذكرة للمتذكرين .

[1] – سنن أبي داود– أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني –كتاب الصلاة – باب كَيْفَ الأَذَانُ.– حديث رقم ٥٠٦ ج١ص١٩٣– دار الكتاب العربي. بيروت، وهو صحيح

المبحث الثانى

تعامل الصحابة الكرام ﷺ مع الآثار التاريخية

إن الصحابة ﷺ ألصق الناس بالنبى ﷺ ، وهم أكثر الناس رؤية لأفعال النبى الكريم ﷺ؛ فأفعالهم شاهدة على ما تنطق به سنة النبى ﷺ ؛ فلا تعارض ولا تضاد ولا تضارب بين أفعالهم وفعل المصطفى ﷺ.

فما هو حالهم مع آثار السالفين وما احتوته من تماثيل، وصور، ورسومات، وأشكال هندسية، وآطام، وطرق وغير ذلك ؟ يجيب عن ذلك المطلب التالى:

المطلب الأول : حال الصحابة الكرام ﷺ مع الآثار التاريخية

يتضح حال الصحابة الكرام ﷺ مع آثار السالفين من خلال (فتح مصر) كمثل حيٍ واقعى؛ والسبب فى اختيار هذا المثل هو أن ذلكم البلد نشأت عليه حضارات عدة ؛ مثل الحضارة الفرعونية ، والرومانية، والمسيحية وغير ذلك؛ وخلفت تلك الحضارات معابد، وتماثيل، وكنائس، وغير ذلك الكثير والكثير ؛ وما أبو الهول والأهرامات منَا ببعيد!!

والكلام على مصر ينسحب على جميع البلدان التى فيها آثار للسالفين ؛ كالعراق ، وسوريا ،والأردن، وغيرها... فالصحابة منهلهم واحد ، ومعينهم واحد ؛ وهو النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فيستحيل عليهم التضاد ، والتضارب ، والتصادم ؛ وهو ما يجب أن يؤمن به المسلم .

١- ذكر المؤرخون أن سيدنا عمرو بن العاص دخل مصر ومعه جمع من صحابة رسول الله ﷺ ممن تعلموا على يديه، وسمعوا سنته، واهتدوا بهديه ﷺ ، وأشفق سيدنا عمر بن الخطاب عليه فزوده بمدد من المقاتلين تحت إمرة سيدنا الزبير بن العوام؛ فاجتمع جمع غفير من

صحابة المصطفى ﷺ وفتحوا مصر بأمر الله؛ وأخذوا بناصيتها إلى دين الله.

يقول البلاذرى رحمه الله: (حدثني عمرو الناقد قال حدثني عبد الله بن وهب المصرى عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص دخل مصر ومعه ثلاثة آلاف وخمسمائة وكان عمر بن الخطاب قد أشفق لما أخبر به من أمرها فأرسل الزبير بن العوام في اثنى عشر ألفا فشهد الزبير فتح مصر واختط بها)([1])

٢- هؤلاء الصحب الكرام ساحوا فى الأرض ، وانتشروا شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا ؛ ودخلوا الأماكن الأثرية وما احتوته من تماثيل ، ومعابد، وهياكل وغير ذلك ؛ ولم يؤثر عن واحد منهم أنه هدم أثرا ، أو غيَر معلما؛ وإلا ما بقيت كما هى بشكلها، ولونها، وطولها، وعرضها دون طمس أو هدم؛ فصار ترك الآثار دون هدم أو طمس إجماعا سكوتيا منهم، لأنهم ما عهد عليهم أن يروا منكرا ويتركوه ؛ لاسيما وأنهم يقولون الحق دون خوف أو وجل ؛ بل إن التاريخ يذكر ذهاب صحابة بعينهم إلى أماكن أثرية بعينها ؛ ولم يعملوا فيها يدا بهدم ، أو تغيير وهم أحرص الناس على التزام سنة سيدنا رسول ﷺ .

يقول البلاذرى رحمه الله: (حدثني أبو أيوب الرقى قال حدثني عبد الغفار الحراني عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الجيشاني قال سمعت جماعة ممن شهد فتح مصر يخبرون أن عمرو بن العاص لما فتح الفسطاط وجه عبد الله بن حذافة

[1] – فتوح البلدان– أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩– تحقيق رضوان محمد رضوان – جـ١صـ٢١٥– دار الكتب العلمية بيروت – ط١ ١٤٠٣هـ

السهمى ([1]) إلى عين شمس فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل حكم الفسطاط ، ووجه خارجة بن حذافة العدوى([2]) إلى الفيوم والأشمونين وأخميم والبشر ودات وقرى الصعيد ففعل مثل ذلك، ووجه عمير بن وهب الجمحى([3]) إلى تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير ففعل مثل ذلك ، ووجه عقبة بن عامر الجهنى([4])

---

[1] – عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي القرشي، أبو حذافة: صحابي أسلم قديما، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى،وهاجر إلى الحبشة، وقيل: شهد بدرا، وأسره الروم في أيام عمر، ثم أطلقوه.
وشهد فتح مصر، وتوفي بها في أيام عثمان، وكانت فيه دعابة، وله حديث،وعده الجمحي من شعراء مكة ، ينظر : الأعلام للزركلى –جـ٤صـ٧٨

[2] –خارجة بن حذافة العدوي : هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب وكان فيمن حضر فتح مصر ومات بها ينظر : المعجم الكبير – سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني – جـ٤ صـ٢٠٠– مكتبة الزهراء ١٤٠٤ – ١٩٨٣

[3] – عمير ابن وهب الجمحى: أسلم بعد غزوة بدر، وكان من المؤلفة قلوبهم ، وكان صاحب رأى وبصيرة لاسيما فى المعارك؛ أرسلته قريش لمعرفة عدد المسلمين وأحوالهم فى غزوة بدر فأتى وأخبرهم بعددهم وأحوالهم ، ونصحهم بالرجوع وعدم المقاتلة ؛ وكان صاحب المقولة المشهورة :(قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع) أسلم وحسن إسلامه، وكان من المبرزين فى فتح مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه) ينظر بتصرف :عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير تأليف محمد بن عبد الله بن يحي ابن سيد الناس ٦٧١ هـ – ٧٣٤ هـ جـ١صـ٣٣٣ – مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت – لبنان ط١ ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م

[4] – صَاحِبُ النَّبِيِّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الخَيْرِ مَرْثَدٌ اليَزَنِيُّ، وَجُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ، وَسَعِيْدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَأَبُو إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَعُلَيُّ بنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ أَسْلَمُ التُّجِيْبِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُمَاسَةَ، وَمِشْرَحُ بنُ هَاعَانَ، وَأَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بنُ يُؤْمِنَ، وَأَبُو قَبِيْلٍ المَعَافِرِيُّ، وَسَعِيْدٌ المَقْبُرِيُّ، وَبَعْجَةُ الجُهَنِيُّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.
وَكَانَ عَالِماً، مُقْرِئاً، فَصِيْحاً، فَقِيْهاً، فَرَضِيّاً، شَاعِراً، كَبِيْرَ الشَّأْنِ. وَهُوَ كَانَ البَرِيْدَ إِلَى عُمَرَ بِفَتْحِ دِمَشْقَ.
وقَالَ:خَرَجْتُ مِنَ الشَّامِ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَدَخَلْتُ المَدِيْنَةَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ لِي عُمَرُ: هَلْ نَزَعْتَ خُفَيَّكَ؟ قُلْتُ: لاَ.قَالَ: أَصَبْتَ السُّنَّةَ. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: شَهِدَ صِفِّيْنَ مَعَ مُعَاوِيَةَ.وَقَالَ ابْنُ يُوْنُسَ: شَهِدَ فَتحَ مِصْرَ، وَاخْتَطَّ بِهَا، وَوَلِيَ الجُنْدَ بِمِصْرَ لِمُعَاوِيَةَ، ثُمَّ عَزَلَهُ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِيْنَ، وَأَغْزَاهُ البَحْرَ، وَكَانَ يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ، وَقَبْرُهُ بِالمُقَطَّمِ.

ويقال وردان مولاه صاحب سوق وردان بمصر إلى سائر قرى أسفل الأرض ففعل مثل ذلك فاستجمع عمرو بن العاص فتح مصر فصارت أرضها أرض خراج)([1])

٣- إن ما يقال بعد ذلك من أن الصحابة رضى الله عنهم لم يروا هذه الأماكن هو فى الحقيقة كلام لا يساوى المداد الذى كتب به؛ لأنه يعارض الحقائق العلمية والتاريخية.

٤-إن ما فعله الصحابة رضى الله عنهم من الحفاظ على الآثار هو ما فهموه من دلالات القرآن والسنة؛ فهم أكثر الناس اتباعا والتزاما، فيستحيل عليهم أن يروا خطأ ويدعوه دون إرشاد وتغيير، وأبلغ مثال على ذلك حين فتحوا مصر ووجدوا أهلها يتقربون إلى النيل لكى يفيض بالماء بجارية حسنة محلاة بالحلىِ فرفضوا ذلك ومنعوا القربان بالإنسان الذى كرمه الله تعالى ، يقول ابن كثير رحمه الله :

(قال لما فتح عمرو بن عاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنة من أشهر العجم القبطية فقالوا يا أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم وما ذاك قالوا إذا كان لثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو إن هذا لا يكون فى الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤنة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا وفي رواية فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجلاء؛ فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه عمر إنك قد أصبت بالذى فعلت وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى هذا فألقها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها من

مَاتَ: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ. ينظر: سير أعلام النبلاء- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبى – جـ٣ صـ٤٠٩- مؤسسة الرسالة بدون

[1] – فتوح البلدان جـ١ صـ٢١٨مرجع سابق.

عبدالله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك، فألقى عمرو البطاقة في النيل فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم)([1])

فالصحابة رضى الله عنهم الذين حافظوا على الآثار وأبقوا عليها؛ هم أنفسهم الذين رفضوا القربان بالإنسان فيما يعرف (بعروس النيل)؛ وما ذلك إلا لعلمهم بحرمة عروس النيل ، وحلِ بقاء الآثار؛ بل والمحافظة عليها للاتعاظ والاعتبار.

[1] – البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – فصل البحار والأنهار جـ١صـ٢٧مكتبة المعارف بيروت بدون

المطلب الثانى : شبهـــة والرد عليها

أولا الشبهة :

زعم البعض أن الصحابة رضى الله عنهم لم يروا الآثار فى البلاد التى فتحوها؛ لذا لم يهدموها ، ولو رأوها لهدموها؛ (سئل الزركلي عن الأهرام وأبى الهول ونحوها، هل رآها الصحابة الذين دخلوا مصر ؟ فقال : كان أكثرها مغموراً بالرمال ولا سيما أبا الهول)([1])

ثانيا الرد عليها:

- **إن هذا الكلام يخالف التاريخ ، والمنطق ، والعقل؛ فالتاريخ أثبت أن الصحابة رضى الله عنهم لما دخلوا البلاد المفتوحة انساحوا فيها؛ شرقا وغربا،شمالا وجنوبا، وفتحوها بدين الله تعالى، فلم ينزووا فى مكان محدد، أو جزء محدد، وهذا واضح للعيان وضوح الشمس فى رائعة النهار؛ فيستحيل عقلا أن لا يروا هذه القصور المنيفة ، والبنايات الشاهقة ، والمعابد العالية؛ ودورالعبادة التى بنوها لا تبعد عن هذه الأماكن الأثرية كثيرا .**
- **إن الزعم بأن الأهرامات وأبا الهول لم يكونا ظاهرين حتى يرهما الصحابة؛ هو قول يرده العقل؛ فهما مرتفعان ارتفعا يمكِن من مشاهدتهما؛ فلقد ذكر علماء الآثار أن: (طول كل ضلع من أضلاع الهرم الأكبر٧٤٦ قدم،**

---

[1] – شبه جزيرة العرب – الزركلى جـ ٤صـ١١٨

وارتفاعه العمودى الحالى ٤٥٠ قدم)([1]) (وأبو الهول يبلغ ارتفاعه من الأرضية حتى التاج الذى يعلو الرأس ٦٦قدم)([2])

- إن ما يزعمه هؤلاء من أبى الهول كان مختفيا تحت الرمال لذلك لم يروه؛ هو كلام مردود علميا وعقليا؛ لأن هرم خوفو بجوار أبى الهول فلو كان أبو الهول مختفيا فهرم خوفو ظاهر للعيان؛ فلو كان الشرع يقتضى هدم الآثار لهدموها سواء وجد أبو الهول أم لا؛لأن العبرة بالحكم لا بالعين؛ فضلا عن كون أبى الهول ارتفاعه ٢٠مترا تقريبا أى ما يوازى عمارة ارتفاعها سبعة أدوار تقريبا؛ فيتعذر خفاؤه عن الناظرين .
- إن ما زعمه هؤلاء على خفاء الأهرامات وأبى الهول اعتمد على قول المؤرخ الزركلى رحمه الله ؛ وهذا الكلام لا يصلح للاعتماد عليه لأن الزركلى رحمه الله توفى عام ١٣٩٦هـ بينما سبقه إلى الحديث عنها علماء سابقون منذ القرن الخامس والسادس الهجرى أثبتوا وجودها، وذكروها كشاهد مادى على قوة السابقين وظلفهم؛ ومن هؤلاء الإمام الرازى رحمه الله الذى توفى عام ٦٠٦هـ ؛ فقد ذكرها فى تفسيره فى سياق حديثه عن قوة السابقين؛ قال رحمه الله: (أما بيان أنهم كانوا أكثر من هؤلاء عدداً فإنما يعرف في الأخبار وأما أنهم كانوا أشد قوة وآثاراً في الأرض فلأنه قد بقيت آثارهم بحصون عظيمة بعدهم مثل الأهرام الموجودة

---

[1] – الآثار المصرية فى وادى النيل – جيمس بيكى– ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد جـ١صـ ٢٣٨ سنة١٩٩٠م

[2] –المرجع السابق جـ١صـ٢٦٦

بمصر ومثل هذه البلاد العظيمة التي بناها الملوك المتقدمون ومثل ما حكى الله عنهم من أنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا)([1])

فكيف يدعى الزركلى خفاءها ويثبتها السابقون؟!!

إن هذا التناقض التاريخى والزمنى للزركلى رحمه الله يثبت بما لا يدع مجالا للشك ظهورها وعدم خفائها ؛ ويثبت رؤية الصحابة رضى الله عنهم لها؛ وعدم تعرضهم إليها لتبقى شاهدا عيانا على قدرة الله الواحد الأحد؛ فالصحابة رضى الله عنهم يستحيل عليهم شرعا أن يروا هذه الآثار ويتركوها وعندهم علم بهدمها أو طمسها؟!!

إن هذا يستحيل عليهم لعمنا بسرعة استجابتهم لله ورسوله ، وتوقفهم عند حدودهما ، فتبقى الإجابة أنهم رأوها وتركوها لتبقى عبرة وعظة للآخرين؛ فلا يجوز هدمها أو طمسها لئلا يفوت الغرض من بقائها.

---

[1] –تفسير الرازى جـ ٢٧صـ ٧٨مرجع سابق

الفصل الثالث

علة العبادة فى القرآن و السنة

وأثرها

فى التعامل مع الآثار التاريخية

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول

فهم مراد الألفاظ لغويا وأثره فى الحكم الشرعى الصحيح

المبحث الثانى

علة العبادة فى القرآن و السنة وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

ويتكون من مطلبين:

المطلب الأول: علة العبادة فى القرآن الكريم وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

المطلب الثانى: علة العبادة فى السنة النبوية وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

المبحث الأول

فهم مراد الألفاظ لغويا وأثره فى الحكم الشرعى الصحيح

لا تتوقف معرفة القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة على مجرد حفظ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ؛ ولكن تتعداها إلى الفهم الصحيح الراشد لمضمونهما .

فالفهم هو الذى يقوم عليه استنباط الأحكام الشرعية التى تحتاج الأمة إليها؛ والذين يفتح الله عليهم بالفهم هم فى أعلى الدرجات، وأفضل المقامات؛ ولعل هذا يستفاد من قول النبى ﷺ:(إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِىَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِى دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِى اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ)([1])

وإن موضوع الآثار التاريخية من الموضوعات التى تحتاج إلى استقراء للأدلة ، وفهم دقيق لها حتى يكون الحكم صحيحا؛ ومن أمارات الفهم؛ فهم الألفاظ التى جاءت فى القرآن والسنة ؛ والتى ينبنى عليها فهم مقصود الشارع؛ خاصة وأن القرآن

---

[1] – صحيح مسلم – كتاب الفضائل – باب باب بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِىُّ –صلى الله عليه وسلم– مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ. –رقم الحديث ٦٠٩٣ – جـ ٧ صـ ٦٣ ، والأجادب : جمع أجدب وأجدب جمع جدب وهى الأرض التى لا تنبت كلأ ، والقيعان : جمع القاع ومعناها هنا الأرض التى لا نبات فيها؛ نفس المرجع السابق .

الكريم جاء بلسان عربي مبين؛ قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)([1])

يقول ابن الجوزى رحمه الله فى مقدمة كتابه غريب الحديث :(أمّا بَعْدُ فإنَّ رَسُولَ الله كان عَرَبِيًّاً وكذلك جمهورُ أصحابِهِ وتابِعيهم فَوَقَع في كلامهم من اللُّغَةِ ما كَانَ مَشْهُوراً بينهم ثم وقعت مخالطة الأعَاجِمِ فَفَشَى اللَّحْنُ وجَهَلَ جمهورُ النَّاسِ مُعظَمِ اللغةِ فافتقر ذلك الكلام إلى التفسير)([2])

ومن ثمَ لكى يكون الحكم فى موضوع الآثار صحيحا لابد من الإجابة على التساؤل التالى: ما هو الوثن ؟ وما هو الصنم ؟ وما هو التمثال ؟ والتى تضافرت الآيات القرآنية بذكرها؛ وما الفرق بينها وبين الآثار التى أمر الله بالسير والسفر إليها للاتعاظ، والتذكر، والاعتبار ؟

إن اللغة العربية تسعفنا فى الإجابة على ذلك ، وتوضح لنا معانى هذه المفردات توضيحا دقيقا؛ نستطيع من خلاله توجيه الأحكام توجيها سديدا:

أولا: (الوثن) :

كلمة الوثن تعنى: الصنم الذى يعبد؛ بدلالة مفهوم اللغة ؛ يقول ابن منظور رحمه الله: (... قال ابن الأَثير الفرق بين الوَثَنِ والصَّنَم أَن الوَثَنَ كل ما له جُثَّةٌ معمولة من جواهر الأَرض أَو من الخشب والحجارة كصورة الآدمى تُعمَلُ وتُنْصَبُ فتُعْبَدُ والصَّنَمُ الصورة بلا جُثَّةٍ ومنهم من لم يفرق بينهما وأَطلقهما على المعنيين قال وقد يطلق الوَثَنُ على غير الصورة والجمع أَوْثانٌ ووُثُنٌ ووُثْنٌ وأُثُنٌ على إبدال الهمزة من الواو وقد قرئ إنْ يَدْعُونَ من دونه إلا أُثُناً حكاه سيبويه قال الفراء وهو جمع

---

[1] – سورة يوسف الآية : ٢

[2] – غريب الحديث– أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر – تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي جـ١. صـ١ دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ١٩٨٥م

الوَثَنِ فضم الواو وهمزها كما قال وإذا الرسلُ أُقِّتَتْ الأَزهرىٰ قال شمر فيما قرأْت بخطه أَصل الأَوْثانِ عند العرب كل تِمْثالٍ من خشب أَو حجارة أَو ذهب أَو فضة أَو نحاس أَو نحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها وكانت النصارىٰ نصبت الصَّليب وهو كالتِّمْثال تُعَظِّمُه وتعبده ولذلك سماه الأَعشىٰ وَثَناً وقال تَطُوفُ العُفاةُ بأَبْوابِه كطَوَفِ النَّصارىٰ ببَيْتِ الوَثَنْ أَراد بالوَثَنِ الصليب)([1])

فاللغة العربية بينت أن الوثن ما يعبد من دون الله ؛ سواء صنع من جواهر الأرض ، أو الخشب ، أو الحجارة ، أو غيرها؛ أو كصليب النصارىٰ ، ومع كون الصليب ليس جسدا أو تمثالا مصنوعا من خشب، أَو حجارة، أَو ذهب، أَو فضة، أَو نحاس، أَو نحوها؛ إلا أنه أطلق عليه لفظ الوثن؛ لأن العبادة تعلقت به (عن عدىٰ بن حاتم قال: أتيت النبىٰ ﷺ وفي عنقى صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح عنك هذا الوثن أَراد به الصليب) ([2])

ثانيا: (الصنم) :

يقول ابن منظور رحمه الله: (صنم : الصَّنَمُ معروفٌ واحدُ الأَصْنامِ يقال إنه معرَّب شَمَنْ وهو الوَثَن قال ابن سيده وهو يُنْحَتُ من خَشَبٍ ويُصَاغُ من فضة ونُحاسٍ والجمع أَصنام وقد تكرر في الحديث ذكرُ الصَّنَمِ والأَصنام وهو ما اتُّخِذَ إلهاً من دون الله، وقيل هو ما كان له جسمٌ أَو صورة فإن لم يكن له جسم أَو صورة فهو وَثَن وروىٰ أَبو العباس عن ابن الأَعرابي الصَّنَمةُ والنَّصَمةُ الصُّورةُ التي تُعْبَد وفي

---

[1] – لسان العرب– محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري – مادة وثن ج٦ص٤٧٦٥ ط١دار صادر – بيروت.

[2] – الجامع الصحيح سنن الترمذىٰ – محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذىٰ السلمى – تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون – باب تفسير القرآن – التوبة– حديث رقم ٣٠٩٥ حـ٥صـ٢٧٨ – دار إحياء التراث العربي – بيروت – قال المحققون :حسن

التنزيل العزيز واجْنُبْني وبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصنام قال ابن عرفة ما اتخذوه من آلهةٍ فكان غيرَ صُورةٍ فهو وَثَنٌ فإذا كان له صورة فهو صَنَمٌ، وقيل الفرق بين الوَثَن والصنمِ أَن الوَثَنَ ما كان له جُثَّة من خشب أَو حجر أَو فضة يُنْحَت ويُعْبَد والصنم الصورة بلا جثة ومن العرب من جعل الوَثَنَ المنصوبَ صنماً وروي عن الحسن أَنه قال لم يكن حيٌّ من أَحْياءِ العرب إلا ولها صنمٌ يعبدونها يسمونها أُنثى بني فلان)([1])

فالصنم هو المعبود المصنوع من حجارة أو ذهب او فضة أو نحوها ؛ فإذا انتفت العبادة ؛ بقيت هذه الأشياء آثارا يستدل به على قوة السالفين وتمكنهم؛ وصارت شاهدا على قدرة الله سبحانه وتعالى .

قال تعالى:(أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)([2])

ثالثا التمثال :

يقول ابن منظور رحمه الله: (التِّمْثال اسم للشيء المصنوع مشبَّهاً بخلق من خلق الله، وجمعه التَّماثيل، وأَصله من مَثَّلْت الشيء بالشيء إِذا قدَّرته على قدره، ويكون تَمْثيل الشيء بالشيء تشبيهاً به، واسم ذلك الممثَّل تِمْثال وأَما التَّمْثال بفتح التاء فهو مصدر مَثَّلْت تمثيلاً وتَمْثالاً) ([3])

فاللغة العربية تفيد أن التمثال هو الذى صنعه الممثِل على شبه معين لشيء ممثَل؛ كشجرة أو حيوان أو إنسان...إلخ

---

[1] –المرجع السابق مادة صنم ج١٢ص٣٤٩

[2] – سورة فاطر آية(٤٤)

[3] – لسان العرب– محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى ج٦ص٤١٣٥– ط١دار صادر – بيروت

ويقوم الممثِل بصناعتها من طين ، أو حجر،أو ذهب ،أو فضة؛ ...إلخ

ويصير التمثال معبودا إذا عبده الناس وعكفوا حوله؛ للقرينة الموجودة فى قوله تعالى : (مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)([1])

فالآية الكريمة جاءت فيها التماثيل مقترنة بالعبادة؛ فإذا لم توجد قرينة العبادة فهى أثر للاتعاظ والاعتبار، ويستحيل على القرآن الكريم أن يذكر شيئا جزافيا، أو غير دقيق، أو فى غير موضعه؛ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

والدلالة اللغوية تؤكد قرينة العبادة؛ يقول ابن منظور رحمه الله: (أَصل الأَوْثانِ عند العرب كل تِمْثالٍ من خشب أَو حجارة أَو ذهب أَو فضة أَو نحاس أَو نحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها)([2])

فمما سبق يبين أن:

المصنوع من طين ، أو حجر، أو ذهب ، أو فضة؛ إذا خلا من العبادة أصبح أثرا ؛ يدعى إلى زيارته والسير إليه للتباكى والاتعاظ ، وإذا اقترن بعلة العبادة استحال إلى تمثال، أو وثن، أو صنم ؛ ومن هنا ندرك مدى الخطأ العلمى الذى يقع فيه البعض بإطلاق كلمة الأوثان على الآثار مع البون الشاسع بينهما؛ كما هو واضح بقرائن القرآن الكريم ، ودلالات اللغة العربية؛ لغة القرآن، ولغة النبى العدنان ﷺ.

المبحث الثانى

علة العبادة فى القرآن و السنة

---

[1] – سورة الأنبياء :الآيات من(٥٢،٥٤)

[2] –– لسان العرب مادة وثن ج٦ص٤٧٦٥

المطلب الأول: علة العبادة فى القرآن الكريم وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

عند استقراء القرآن الكريم فى حديثه عن الأنبياء والمرسلين؛ نجده قصَ علينا جهاد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين مع أقوامهم، وصبرهم عليهم ، ودعوتهم إياهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وخلع ما عداه من الأصنام ، والتماثيل ، والأوثان ؛ وإفراده وحده بالعبادة، والتنزيه، والتقديس .

ولنضرب مثالا على ذلك عن طريق الاستقراء الناقص بسيدنا إبراهيم عليه السلام :

قال تعالى: (إِ ذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ. قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ)([1])

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّيَ أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ)([2])

وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ . رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)([3])

وقال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ . إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ. قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ . قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ.أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ . قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ . قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ . الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ

---

[1] – سورة الأنبياء :الآيات من(٥٢،٥٤)

[2] – سورة الأنعام: الآية (٧٤)

[3] – سورة إبراهيم: الآيتان ٣٥،٣٦

يَهْدِينِ . وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ . رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ. وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ . وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ . وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ . وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ . يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ . إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)([1])

وقال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([2])

وقال تعالى: (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ . إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ .إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ . أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ . فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ . فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ. مَا لَكُمْ لا تَنطِقُونَ . فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ. فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ . قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ . قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ . فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ)([3])

وقال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ.إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

---

[1] – سورة الشعراء : الآيات من(٦٩:٨٩)

[2] – سورة العنكبوت آية (١٧)

[3] – سورة الصافات : الآيات من(٨٣:٩٨)

اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)([1])

فسيدنا إبراهيم عليه السلام فى الآيات السابقة دعا قومه إلى عبادة الله وحده الذى يحيى ويميت ، ويسقى ويطعم ، ويشفى من الأمراض ، ويغفر الذنوب ،ويرزق من يشاء بغير حساب ؛ فلا يصح لإنسان يملك قدرا من العقل أن يتركه ويعبد صنما ، أو وثنا، أو إفكا، أو تمثالا ؛ لا يملك لنفسه نفعا ، ولا ضرا ، ولا موتا ، ولا حياة، ولا نشورا.

فالآيات صريحة فى أن الوثن ما تعلقت به العبادة من دون الله ؛ أما ما لم تتعلق به العبادة فليس وثنا؛ بل يصبح أثرا شاهدا بأخبار السابقين وأحوالهم؛ يترك للاتعاظ والاعتبار.

فكلمة (الأثر) لا يجوز أن نسوِيها معنا وحكما مع كلمات الوثن، و الصنم ، والتمثال ، والنصب وغيرها لاختلاف العلة كما هو واضح من دلالة اللغة ، والقرآن الكريم .

المطلب الثانى: علة العبادة فى السنة النبوية وأثرها فى التعامل مع الآثار التاريخية

الذين ذهبوا إلى جواز هدم الآثار أو طمسها؛ اعتمدوا على بعض الروايات و الآثار؛ ولكنهم لم يكلفوا أنفسهم معرفة المراد من ألفاظها لغويا؛ خاصة وأن اللغة العربية هى المنوط بها فهم ألفاظ القرآن ، وسنة النبى صلى الله عليه وسلم؛ فضلا عن عدم معرفتهم درجتها من الصحة والضعف ؛والقبول والرد؛ ومثال ذلك اعتمادهم على حديث أبى المورع فى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه وهو :

---

[1] – سورة العنكبوت آية (١٧)

(حدثنا عبد الله حدثني أبو داود المباركي سليمان بن محمد ثنا أبو شهاب عن شعبة عن الحكم عن أبي المورع عن علىٍ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم في جنازة فقال من يأتي المدينة فلا يدع قبرا إلا سواه ولا صورة إلا طلخها ولا وثنا إلا كسره قال فقام رجل فقال أنا ثم هاب أهل المدينة فجلس قال علي رضي الله عنه فانطلقت ثم جئت فقلت يا رسول الله لم ادع بالمدينة قبرا إلا سويته، ولا صورة إلا طلختها، ولا وثنا إلا كسرته قال فقال من عاد فصنع شيئا من ذلك فقد كفر بما أنزل الله على محمد يا علي لا تكونن فتانا أو قال محتالا ولا تاجرا إلا تاجر الخير فإن أولئك هم المسوفون في العمل)([1])

هذا الحديث الذى يعتمد عليه البعض فى دعوتهم لهدم الآثار هو حديث ضعيف لا يعتمد عليه فى مثل هذه الأمور الشرعية ([2])

الأمر الثانى: كلمة الوثن التى جاءت فى الحديث تعنى الصنم الذى يعبد بدلالة مفهومها فى اللغة ؛ فإذا لم تتعلق بها العبادة فهى أثر؛ يترك للاتعاظ والاعتبار؛ وهذا ما أكدته السنة النبوية الصحيحة من فعل النبى ﷺ حينما دخل مكة المكرمة فكسر الأصنام لعلة العبادة :

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ... وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَقْبَلَ إِلَى الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ – قَالَ – فَأَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ – قَالَ – وَفِى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَوْسٌ وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِى عَيْنِهِ وَيَقُولُ « جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ». فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ

---

[1] – مسند الإمام أحمد بن حنبل– أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني – مسند علىٍ بن أبى طالب رضى الله عنه – ج: ١ص١٣٨–حديث رقم١١٧٠ مؤسسة قرطبة – القاهرة – بدون

[2] – جاء ذلك فى تحقيق شعيب الأرنؤوط للمسند حيث قال عن هذا الحديث: إسناده ضعيف ينظر المرجع السابق.

طَوَافِهِ أَتَى الصَّفَا فَعَلاَ عَلَيْهِ حَتَّى نَظَرَ إِلَى الْبَيْتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَدْعُو بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوَ.([1])

يقول الإمام النووى رحمه الله : (قوله : " فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه فجعل يطعنه بسية قوسه" السية بكسر السين وتخفيف الياء المفتوحة المنعطف من طرفى القوس وقوله يطعن بضم العين على المشهور ويجوز فتحها في لغة وهذا الفعل إذلال للأصنام ولعابديها وإظهار لكونها لا تضر ولا تنفع ولا تدفع عن نفسها كما قال الله تعالى وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه، قوله: "جعل يطعن في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل" وقال في الرواية التى بعد هذه وحول الكعبة ثلاثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود كان في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد: النصب الصنم؛ وفى هذا استحباب قراءة هاتين الآيتين عند إزالة المنكر)([2])

وفى قصة كسر الأصنام التى تعبد من دون الله حول الكعبة أكبر دليل على أن مفهوم الصنم المراد هدمه هو ما تعلقت به العبادة كما هو واضح جليٌ فى قصة فتح مكة ؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ دَخَلَ النَّبِيُّ –صلى الله عليه وسلم– مَكَّةَ وَحَوْلَ الْكَعْبَةِ ثَلاَثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نُصُبًا فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ كَانَ بِيَدِهِ

---

[1] – صحيح مسلم– كتاب الجهاد والسير–باب فتح مكة –حديث رقم٤٧٢٢– جـ٥ صـ١٧٠– دارالجيل بيروت بدون

[2] – شرح النووى على صحيح مسلم – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووى – كتاب الجهاد والسير – باب فتح مكة – جـ١٢ – صـ١٣٠ دار إحياء التراث العربى – بيروت – طـ٢ – ١٣٩٢هـ

وَيَقُولُ:(جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا) (جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ) زَادَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ يَوْمَ الْفَتْحِ. ([1])

ويشرح الإمام القسطلانى رحمه الله مفهوم النصب فيقول:" (نصبًا) بضم النون والصاد المهملة وبالموحدة حجرًا كانوا ينصبونه في الجاهلية ويتخذونه صنمًا يعبدونه والجمع أنصاب ...وجعل النبي ﷺ يطعنها) بضم العين في الفرع ويجوز فتحها أي يطعن الأصنام (بعود في يده) صفة لعود؛ وفيه إذلال للأصنام وعابديها، وإظهار أنها لا تضر ولا تنفع ، ولا تدفع عن أنفسها٠)([2])

فالنبى صلى الله عليه الصلاة والسلام كسر الأصنام لعلة العبادة، وبيان أنها لا تنفع ولا تضر كما هو واضح من معنى نصب ، وكما جاء فى رواية أبى هريرة رضى الله عنه (أنه أتى على صنم بجوار البيت كان يعبدونه)؛ وكما تدل عليه لفظة(صنم) لغويا

يقول ابن منظور رحمه الله: (صنم : قال ابن سيده وهو يُنْحَتُ من خَشَبٍ ويُصَاغُ من فضة ونُحاسٍ والجمع أَصنام وقد تكرر في الحديث ذكرُ الصَّنَمِ والأَصنام وهو ما اتُّخِذَ إلهاً من دون الله)([3])

فالعلة إذا العبادة ؛ فإذا انتفت هذه العلة بقيت هذه الأشياء آثارا يستدل به على قوة السالفين وتمكنهم؛ وصارت شاهدا على قدرة الله سبحانه وتعالى،

---

[1] – الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم– أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابورى– كتاب الجهاد والسير– باب إزالة الأصنام من حول الكعبة حديث رقم ١٧٨١– جـ٥صـ١٧٣– دار الجيل بيروت بدون

[2] –إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)– كتاب فى المظالم والغصب – باب باب هَلْ تُكْسَرُ الدِّنَانُ الَّتِي فِيهَا الْخَمْرُ، أَوْ تُخَرَّقُ الزِّقَاقُ؟ جـ٤صـ٢٧٨– المطبعة الكبرى الأميرية، مصر – ط ٧– ١٣٢٣ هـ

[3] –المرجع السابق مادة صنم ج١٢ص٣٤٩

قال تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(١)

ويتأكد هذا المضمون من دلالة الإجماع السكوتى للصحابة الكرام الذين ذهبوا للبلاد المتعددة ولم يهدموا أثرا ولا علما؛ لعلمهم أنها آثار للاعتبار والاتعاظ خالية من العبادة والتقديس فلم يقتربوا منها بهدم أو طمس كما هو ظاهر للعيان مع يقيننا بأنهم أحرص الناس على اتباع رسول الله ﷺ .

وعلى هذا تحمل الأحاديث الصحيحة الآمرة بالهدم أو الطمس للأوثان، والتماثيل، على ما تعلقت به العبادة ؛ أما ما لم تتعلق به العبادة فلا تهدم ، ولا تطمس؛ لتعلق الاتعاظ بها والاعتبار؛ ولتحقيق عبادة السير والنظر؛ مثال ذلك ما جاء فى صحيح مسلم (عَنْ أَبِى الْهَيَّاجِ الأَسَدِىِّ قَالَ: قَالَ لِى عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ لاَ تَدَعَ تِمْثَالاً إِلاَّ طَمَسْتَهُ وَلاَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتَهُ.)(٢)

وهذا الفهم الراشد لحديث النبى ﷺ المعتمد على استقراء الأدلة ، وفهم مدلولات الألفاظ لغويا؛ يعضده ما جاء عن النبى ﷺ فى نفى الشرك عن أمته ، وكان من آخر ما حدَث به النبى ﷺ (فعن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ النبى ﷺ قَتْلَى أُحُدٍ، بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ

---

١ – سورة فاطر آية(٤٤)

٢ –صحيح مسلم –كتاب الجنائز – باب الأمر بتسوية القبر – ج٣ص٦١–حديث رقم ٢٢٨٧ دار الجيل بيروت

إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلكِنِّي أَخْشى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، أَنْ تَنَافَسُوهَا)([1])

[1] – صحيح البخارى –كتاب المغازى – باب غزوة أحد – حديث رقم ٣٨١٦ – جـ٤ صـ١٤٨٦

الخاتمـة

الحمد لله رب العالمين، أَحْمَدُهُ على النَّعَمِ السَّابِغَاتِ وأَشْكُرُه على الأيَادِي البَالِغَات وأصلي على رسولِهِ محمدٍ أَشرفِ الأنبياءِ وسيّدِ السَّادَاتِ وعلى أصحابِهِ وأتباعهِ إلى يوم الفَصْلِ والميقاتِ وسلم تسليماً كثيراً دائماً بدوام الأرضِ والسمواتِ أما بعد...

فيعلم الله كم بذلت في ذلك البحث من جهد، ليكون شافعا لي يوم القيامة بين يدى أحكم الحاكمين، فأسأل الله القبول والسداد.

ولقد خرج البحث بعدة نتائج ؛ أهمها :

١- الآثار التي خلَفها السابقون من شواهد ، ومعابد ، ومصانع ، ومساكن ،.. هي الدليل المحسوس على سنن الله المطَردة في خلقه ؛ والتي لا تتبدل لها ولا تتغير (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً)([1])

فالقضاء على الآثار إذا؛ إنما هو قضاء على الأدلة المحسوسة الشاهدة بقدرة الله تعالى .

٢- إن المعنى الحقيقي من بقاء الآثار هو الاتعاظ، والاعتبار، والتدبر، والبكاء، والتأمل في قدرة الله التي لا تضاهيها قوة ؛ والدعوة إلى هدمها أو طمسها هي تضييع لحقيقة الحثُ على السير والنظر للاتعاظ والاعتبار؛ وتعطيل لآيات القرآن الكريم الكثيرة القاضية بهذه الحقيقة.

٣- هدم آثار السالفين أو طمسها يعطل البحث عن الأسرار العلمية المبثوثة فيها، والتي يمكن من خلالها اكتشاف أشياء جديدة مفيدة للإنسانية؛ بشرط بعد العلم عن الآفات المتعلقة به .

٤- رؤيـة الآثار تعـين علـى معايشـة قصـص القـرآن الكـريم، وتزيـد المؤمن ثباتا على الحق؛ وتحمله على الوجل من خشية الله ؛ ولعل هذا من أبرز

---

[1] - سورة فاطر الآية:٤٣

دلالات حديث القرآن الكريم عن آثار السالفين ؛ وعلى هذا فإن هدم الآثار إن وجدت تعطيل لدلالات القرآن الكريم .

٥- المصنوع من طين ، أو حجر، أو ذهب ، أو فضة؛ إذا خلا من العبادة أصبح أثرا ؛ يدعى إلى زيارته، والسير إليه للتباكى والاتعاظ، وإذا اقترن بعلة العبادة استحال إلى تمثال، أو وثن، أو صنم ؛ ومن هنا ندرك مدى الخطأ العلمى الذى يقع فيه البعض بإطلاق كلمة الأوثان على الآثار مع البون الشاسع بينهما .

أهم التوصيات:

١- تعليم القائمين على الآثار الغرض الحقيقى من زيارتها، لتظل فى مكانتها التى وضعها الله فيها؛ ويتم ذلك عن طريق دورات علمية بين أهل الآثار، وأهل العلم الشرعى لاسيما أبناء الأزهر الشريف .

٢- تقرير الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الموضوع على الطلاب فى مراحل التعليم المختلفة- بعد تبسيطه- ليتحصنوا من الأفكار الهدمة المتشددة.

٣- دعوة المتشددين فى كل مكان إلى فهم اللغة العربية فهما جيدا؛ ليتمكنوا من إصدار أحكام صحيحة تتفق مع روح الشرع ؛ لأن التشدد لا ينبت إلا فى بيئة الجهل باللغة العربية .

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : متون السنة:

١- الجامع الصحيح المختصر- محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- تحقيق:د. مصطفى ديب البغا - دار ابن كثير،اليمامة - بيروت - ط٣/ ، ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧ م

٢- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم.أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري- دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة . بيروت بدون

٣- سنن أبي داود- أبو داود سليمان السجستاني. دار الكتاب العربية بيروت بدون.

٤-الجامع الصحيح سنن الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي / تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون - دار إحياء التراث العربي. بيروت. بدون

٥-المسند - الإمام أحمد ابن حنبل - تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون- الرسالة - ط٢ /١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

٦-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - تحقيق : عبد المعطي قلعجي - دار الكتب العلمية .بيروت ط ١/ ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

٧- المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. مكتبة الزهراء ١٤٠٤هـ. ١٩٨٣ م

ثالثا : شروح القرآن الكريم

٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق: عبد الرزاق المهدي - دار إحياء التراث العربي - بيروت بدون .

١٠ – مفاتيح الغيب – الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازى الشافعي المتوفى: ٦٠٤ هـ– دار الكتب العلمية ط ١بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م

١١– الجامع لأحكام القرآن – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي– تحقيق: أحمد البردونى– دار الكتب المصرية القاهرة ط ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

١٢– تفسير القرآن العظيم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) تحقيق : محمود حسن –دار الفكر: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م

١٣– التفسير الوسيط للقرآن الكريم – ا.د محمد سيد طنطاوى –– نهضة مصر بدون

رابعا : شروح السنة النبوية

١٤– فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعى – دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩هـ

١٥– إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)– المطبعة الكبرى الأميرية، مصر–الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ

١٦– شرح النووى على صحيح مسلم – أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووى–دار إحياء التراث العربي – بيروت–ط ، ١٣٩٢هـ

١٧– غريب الحديث– أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي ابن عبيد الله بن حمادي بن أحمد بن جعفر – تحقيق : د.عبد المعطي أمين قلعجي دار الكتب العلمية – بيروت طـ١ ١٩٨٥م

١٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة- محمد ناصر الدين الألبانى- دار المعارف الرياض - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

خامسا : بقية المراجع

١٩- أطلس تاريخ الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم - سامى عبدالله المغلوث مكتبة العبيكان ط٦/ ١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م

٢٠- البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء - مكتبة المعارف بيروت بدون

٢١- السياحة -ا.د/ عبد الباسط السيد مرسى - وزارة الأوقاف المصرية - القطاع الدينى - ١٩٨٥م

٢٢- سير أعلام النبلاء- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبى - مؤسسة الرسالة بدون.

٢٣- عيون الاثر في فنون المغازى والشمائل والسير تأليف محمد بن يحي ابن سيد الناس ٦٧١ هـ - ٧٣٤ هـ - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر بيروت - لبنان ط١ ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦ م

٢٤ - فتوح البلدان- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى المتوفى سنة ٢٧٩- تحقيق رضوان محمد رضوان - جـ١صـ٢١٥- دار الكتب العلمية بيروت - ط١ ١٤٠٣هـ

٢٥- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ط١ دار صادر - بيروت

٢٦- المعجم الوسيط. إبراهيم مصطفى وآخرون أحمد الزيات. تحقيق : مجمع اللغة العربية - دار الدعوة. بدون .

٢٧- الموجز في علم الآثار د.على حسن- الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.